الفَنُّ والجَمَال مِن مَنْظُور ل. ن. تولستوي
آراءٌ ناقِدَة ورُؤَىً مُضادَّة

إعداد: ناظم وهبي الديبو – طالب دكتوراه في اللغة العربية – اختصاص الأدب العالمي ونقده –جامعة البعث – حمص – سورية – **المشرف** أ. د. أحمد سيف الدين
E-mail: nazimwahbialdibo@gmail.com
ORCID ID: https://orcid.org/0000-0002-0831-8262
QR Code:

ملخّص

يعالج هذا البحث قضيةً إشكالية في عالم الأدب والفلسفة؛ ألا وهي "الفن والجمال من حيث طبيعتُهما، والعلاقةُ بينهما، ووظيفة كلٍّ منهما". وقد تصدّىٰ لهذه القضية الأديب والفيلسوف الروسي الشهير ليف تولستوي منتقداً آراءَ كُثُرٍ من المفكرين المشتغلين في هذا الحقل، محاولاً توضيحَ مفهومَي "الفن والجمال"، محدداً الروابطَ بينهما، ومبيِّناً وظيفةَ كلٍّ منهما وغايتَه. وليحقق البحثُ أغراضه في توضيح هذه القضية وتغطيتها تمَحْورَ في خمسةِ محاورَ؛ إذ أوضح المحور الأول العلاقة بين كلٍّ من الفن والجمال والحقيقة والخير، وعُني المحور الثاني بتِبيان كون الفن أداةَ تواصل وتفاعل وعدوىٰ حميدة تتفشّىٰ بين المرسل والمستقبل، كما حدد المحور الثالث الأرضية الدينية التي يجب أن يتّكئ عليها الفن –حسب تولستوي–، وكذلك حدد الوظائف الأخلاقية التي لا بدَّ أن يضْطَلع بها مشيراً إلىٰ رفضِ تولستوي مقولةَ "الفنِّ للفن"، أما المحور الرابع فقد ناقش خصائصَ وصفاتِ كلٍّ من الفن الحقيقي والفن المزيَّف وجلَّىٰ الفرق بينهما، وأخيراً جاء المحور الخامس ليبرز طبيعة العلاقة بين العلم والفن وأهميتها؛ تلك العلاقة التبادلية المتآزرة القائمة علىٰ التأثُّر والتأثير، وبعد ذلك خلص البحث إلىٰ جملة من النتائج والتعميمات وثُلَّة من التوصيات والمقترحات.

الكلمات المِفتاحية (الدالَّة): فَنٌّ – جَمَال – تولستوي – نَقْدٌ – تواصلٌ – أخلاق – عِلْم.

Art and Aesthetic from L. N. Tolstoy's Perspective Critical Opinions and Counter Visions

Prepared by Nazim Wahbi AL-Dibo, Ph.D. Student in Arabic Language Specialization World Literature and Criticism – Al-Baath University –Syria

Supervisor Prof. Dr. Ahmad Saif AL-Din-Date: 1443AH.-2021AD.

Abstract

This paper addresses a problematic issue in the world of literature and philosophy; that it is "art and beauty" in terms of their nature, the relationship that exists between them and their respective functions. The famous Russian writer and philosopher Lev Tolstoy addressed this issue; criticizing the views of many thinkers working in this field, trying to clarify the concept of (art and beauty), specifying the extent of the connection between them, and stating the function and purpose of each of them. So that, the research achieves its objectives in clarifying this issue and its coverage of its branches revolving around five axes: The first axis explained the relationship between art and beauty, truth and goodness, and the second axis was concerned with showing that art is a tool of communication, interaction and a benign infection that spreads between the sender and the receiver. The third axis also defined the religious ground which art must be based –according to Tolstoy, as well as determining the ethical functions that it must assume, pointing to the rejection of Tolstoy saying "art to art". As for the fourth axis, it showed the characteristics and feature of both real art and fake art, and the difference between them was clear, and finally the fifth axis came to highlight the nature and importance of the relationship between science and art. That reciprocal and mutually supportive relationship based on effect and influence, and after that the research concluded with a set of results, generalizations and a set of recommendations.

Keyword: Art – Aesthetic – Tolstoy – Criticism – Communications – Morality – Science.

المقدمة:

يعدُّ الأدب من الأوعية المُهمّة التي تحتوي ثقافة الشعوب، ومَعلَماً يشير إلىٰ مدىٰ وعيها ومقدار نضجها الفكري والنفسي، ويعد ليف تولستوي من أبرز ممثلي ثقافة الشعب الروسي، بل الثقافة الإنسانية عامَّةً، ومن القضايا التي ناقشها هٰذا المفكر والفيلسوف قضية "الفن والجمال" في كتابه ذائعِ الصِّيْت «ما الفن؟».

- **إشكاليَّات البحث (فرضياته وأسئلته):**

مما حَدَا بنا إلىٰ معالجة هٰذا الموضوع هو ذاك الخلْطُ والارتباك في تحديد ماهيَّة (الفن والجمال)، و–أيضاً– ذلك الاختلاف والخلاف في توضيح العلاقة بينهما، ووظيفةِ كلٍّ منهما. إن إشكالية هٰذا البحث كامنة في بضع فرضيات وأسئلة يطرحها؛ مثال ذلك:

1. ما الفنُّ وما الجمال، وما العلاقة بينهما حسب تولستوي؟
2. ما وظيفة كلٍّ منهما، وما أهميته؟
3. ما مَدىٰ كون الفن أداةَ نقل واتصال لدىٰ تولستوي، وهل ثمة تعالقٌ بين ذلك وبين نظرية "المُعادِل الموضوعي" الإليوتية؟
4. هل للفن دعائمُ دينيةٌ ومهامُّ أخلاقية؟
5. ما الفرق بين الفن الحقيقي والفن المزيَّف، وما مُحدِّدات كلٍّ منهما؟
6. أَثَمَّة علاقةٌ بين العلم والفن، ما طبيعتها وما أهميتها؟

- **أهمية البحث:**

تنبثق أهمية هٰذه الورقة البحثية من كونها تناقش قضيةً مُهمة لدىٰ كاتب يُعتَدّ برأيه في الأوساط الثقافية العالمية؛ قضيةَ (الفن) بوصفه نشاطاً إنسانياً رائجاً ومؤثراً في تكوين الاتجاهات والقيم وفاعلاً في الحياة الاجتماعية، ذلك الفن الذي ما انفكت راياته تتهاوىٰ في وقتنا الحالي، وقد أصبح يعيش حالاً من الاضطراب بعيداً من الضوابط الأخلاقية التي ينبغي أن تحدد وجهة الفن وأهدافه في تحسين الحياة البشرية، بدلاً من أن يكون أداةَ عبث ولهوٍ غيرَ موجَّهة أدّت إلىٰ تكوين قيم سلبية لدىٰ المتأثرين بهٰذا الفن،

فجاء هٰذا البحث يَقرع جَرْسَ التنبيه التولستُوِيّ مرةً أخرىٰ آملاً أن يكون جهداً متواضعاً يدعم جهوداً أخرىٰ تهدف إلىٰ ضبط إيقاع الفن وإعادة توجيهه.

- **مَنهَج البحث والدراسات السابقة:**

أما فيما يخص منهج البحث وإجراءاته، فإن طبيعة هٰذا البحث تجعل معالجتَه أقربَ ما تكون إلىٰ المقاربة الفلسفية التي تُحلِّل، وتستقرئ، وتستنتج، فَتَتَحقَّق بذلك من صِحّة الفرضيات المطروحة مسبقاً، ومن ثَمَّ تصوغها نتائجَ وتعميماتٍ. أما الدراسات والبحوث السابقة، فلا توجد –حسب حدود معرفتنا– دراسةٌ مستقلة شاملة متكاملة تتسم بالتفصيل والمنهجية العلمية عن هٰذه القضية عند تولستوي؛ إنما هي مقالات وآراء واستشهادات مبثوثة في مواضِعَ عدة.

- **أصالة البحث وجِدَّته:**

إن هٰذا البحث المتواضع أصيل؛ فهو ثمرة جهد ذاتي. والجديد فيه كامن في عدة نقاط: إنه كامن في طريقة المعالجة المنهجية، وفي استنباط وبَلْورة آراء تولستوي في هٰذه القضية وقَوْلبتها في خاناتٍ وبُنود محددة واضحة، وكذلك الجِدَّة كامنة في المقارنة بين رؤىٰ تولستوي في هٰذه القضية وبين آراء آخرين؛ وذلك برصد خطوط التشابه والالتقاء والوقوف علىٰ نقاط الاختلاف والافتراق فيما بينهم، وهٰذا من شأنه أن يصبغ البحثَ بصبغة الحيوية والشمول.

التمهيد:

بادِئَ ذي بَدْءٍ لا بد من الإضاءة علىٰ تولستوي بالرغم من كونه غنياً عن التعريف. ليف نيكولايفيتش تَولستوي، وبالروسية Лев Николаевич Толстóй، ولد عام 1828م. في ضيعته ياسْنايا باليَانا في مُقاطَعة تُوْلا جنوبَ روسيا، وتوفي عام

1910م. هو أديب ومفكر وفيلسوف وداعية سلام، اشتُهر برواياته «الحرب والسلام» – «آنّا كارينينا» – «البعث» – «الحاجّ مراد» وغيرها.[1]

وبعد ذلك لا بد من الوقوف علىٰ مصطلحات البحث الكبرىٰ وتعريفاته الإجرائية؛ فالفن –في معاجم اللغة–: ((هو التطبيق العملي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها، وجملةُ القواعد الخاصة بحِرفة أو صناعة، وجملةُ الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال، كالتصوير والموسيقا والشعر، ومهارةٌ يحكُمها الذوق والمواهب، ج. فنون)).[2] والفن –في معاجم الاصطلاح الفلسفي–: جملةٌ من القواعد المتَّبعة لتحصيل غاية معيَّنة جمالاً كانت أو خيراً أو مَنفعة؛ فإذا كانت الغايةُ الجمالَ سمِّي الفنُّ **بالفن الجميل**، وإذا كانت الخير سمي **بفن الأخلاق**، وإذا كانت المنفعة سمي **بالصناعة**. والفنون الجميلة هي جملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة الشعور بالجمال كالتصوير والنحت والنقش والعِمارة والشعر والرسم والموسيقا وغيرها. و**الفن الملتزم** هو الفن الموجَّه، و**الفن الحر** هو الفن المطلوب لذاته، ويطلقون عليه اصطلاح "الفن للفن". وكلٌّ من مَهَر في تذوُّق الجمال أو تحصيله أو إبداعه يسمَّىٰ فناناً (Artist).[3]

((وتعد الفنون مظهراً أساسياً من مظاهر حياة الإنسان ونشاطه، إذ إننا لا نستطيع فهم الإنسان فهماً متكاملاً من دونها؛ فهي إلىٰ جانب حياته الفكرية وسلوكه الأخلاقي مقوِّمٌ من مقومات وجوده في العالم وعاملٌ من عوامل تغييره))؛[4] فالفنون إذاً تشكل جانباً مهماً من حياة البشر وثقافتهم، وتحظىٰ بقدْر كبير من اهتمامهم وتشجيعهم،

---

[1] ينظر: لومونوف، (ك.)، 2000م. – صفحات مجهولة من حياة تولستوي. تر. ماجد علاء الدين ومحمد بدر خان، د.ط، الناشر: ماجد علاء الدين، د.م، عدد الصفحات 235، ص13.

[2] مجموعة من المؤلفين، 1993م. – المعجم الوسيط. ط.3، مجمع اللغة العربية، مصر، عدد الصفحات 1111، مادة (فَنَنَ).

[3] ينظر: صليبا، (جميل)، 1982م. – المعجم الفلسفي. ج.2، د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، عدد الصفحات 590، ص165–166.

[4] شيخ الأرض (تيسير)، 1991م.– الفحص عن أساس الفنون. د.ط، اتِّحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد الصفحات 381، ص5.

لكن لِمَ يقدِّر الناسُ الفن ويهتمُّون به؟؛[1] لأسباب كثيرة منها –كما يرىٰ سيغموند فرويد Sigmund Freud (1856–1939م.)– أن الفن يحقق رغبات الإنسان ويشبعها في حين أن الحياة العملية الحديثة مملوءة بالمعوِّقات والضغط،[2] وهو –أيضاً– يكشف عن أساليب الوجدان المختلفة باختلاف الحضارات والمتغيرة بتغيُّر الأجيال، وهو يصوّر الوجدان في أشكال قابلة للإدراك، وكذلك يقوم بعملية عكسية؛ إذ يدرِّبنا علىٰ استيعاب البيئة الخارجية وتحويلها إلىٰ عالم خاصٍّ بنا؛ وذلك عندما نمزجها بصور وخيالات من خلْق أنفسنا.[3] وغير ذلك من الأسباب التي تدعو الناس لتقدير الفن وتدفعهم للاهتمام به.

هٰذا هو الفن. أما إذا أردنا الوقوف علىٰ مصطلح "الجمال"، فسنجد أنه صفة تُلحَظ في الأشياء، فتبعث في النفس سروراً ورضاً، والجمال من الصفات هو ما يتعلق بالرضا واللطف، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تُنسب إليها أحكام القيم؛ أي (الجمال، والحق، والخير). وعِلْم الجمال هو العلم الذي يبحث في الجمال، وشروطه، ومقاييسه، ونظرياته، ويبحث في مُختلف صوَر الفن وينقد نماذجه، وهو لا يقوم علىٰ الذوق وحدَه، بل علىٰ العقل أيضاً؛ لأن قيمة الأثر الفني لا تُقاس بما يولِّده في النفس من إحساس، بل يقاس بنسبته إلىٰ الصور الغائية التي يتمثَّلها العقل.[4] والفلسفة الجمالية تبحث في إدراكنا للجمال، وفي مقاييسه، وأحكامنا عليه، ولا يُراد الجمالُ مطلقاً؛ إنما الجمال في الفنون؛ ذلك الجمال الذي ينقله الفنان من الطبيعة إلىٰ عمله ويخلع عليه جمالاً من ذاته.[5] ومن

---

[1] ينظر: جراهام، (جوردون)، 2013م. – فلسفة الفن – مدخل إلىٰ علم الجمال. تر. محمد يونس، ط.1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، عدد الصفحات 358، ص5.

[2] ينظر: الخطيب، (حسام)، 2006م. – جوانب من الأدب والنقد في الغرب. د.ط، جامعة دمشق، عدد الصفحات 471، ص374.

[3] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، 2013م. – مدخل إلىٰ علم الجمال وفلسفة الفن. ط.1، دار التنوير، مصر، عدد الصفحات 191، ص67–68.

[4] ينظر: صليبا، (جميل)، 1982م. – المعجم الفلسفي. ج.1، د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، عدد الصفحات 765، ص407___409.

[5] ينظر: ضيف، (شوقي)، د.ت، تاريخ المقدمة 1972م. – البحث الأدبي – طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره. ط.7، دار المعارف، القاهرة، عدد الصفحات 278، ص118.

ثَمَّ فإن مجال علم الجمال هو الفن؛ إذ إن علم الجمال Aesthetics يعني (علم الإحساس – علم الشعور)؛ وقد كانت أعمال الفن يتم تناولها بالنسبة للمشاعر المفترض أن تطرحها،[1] وبذلك تتضح الروابط بين الفن والجمال؛ فموضوع علم الجمال هو الجميل في الفن الذي يبدعه الإنسان، ولذا يمكن أن يسمَّىٰ هٰذا العلم "فلسفة الفن"، أو "فلسفة الفنون الجميلة".[2]

إن التربية الفنية الجمالية هي من الأهمية بمكان؛ إنها تفتح الوجدان، وتلهب الأحاسيس، وتضخ الحياة في النفوس الكئيبة، وتسهم في تأكيد الذات، إن تذوق الفنون سيشعرنا بالسعادة تلك الغاية التي نسعىٰ إليها جميعاً، والتربية الجمالية لا تعني تنمية الذوق فحسب؛ بل تتلاقىٰ مع أنواع التربية الأخرىٰ؛ فسبيل التربية العقلية العلمُ، وسبيل التربية الخلُقية الدينُ والأخلاق، وسبيل التربية الذوقية الفنُّ الجميل؛ ولمّا كان الجمال من أبرز سمات الوجود، كان لا بد من تأهيل الشخصية للإحساس به، وتربية الوجدان؛ لتَتَوازىٰ جميع جوانب الشخصية؛ ونحصل علىٰ إنسان متكامل متّزن سويّ.[3]

ومن أبرز أعمال تولستوي النظرية عن الفن مؤلَّفُه الشهير «ما هو الفن؟» الذي كتبه عام 1898م.، وطرح فيه جملة من التساؤلات من مثل: ما العلاقة بين الفن والأخلاق؟ ما الفن الحقيقي النافع؟ ما أسباب تقسيم الفن إلىٰ فن السادة وفن الجماهير؟ ما موقع الفن في المجتمع البرجوازي؟ ما السبيل إلىٰ إنقاذ الفن من الأزمة التي ساقه إليها الفنانون الهابطون؟ وغير ذلك من التساؤلات.[4] لقد عرض تولستوي في كتابه هٰذا أهمَّ

---

[1] ينظر: هيغل، (فريدريك)، 2010م. – علم الجمال وفلسفة الفن. تر. مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط.1، مكتبة دار الحكمة، القاهرة – مصر، عدد الصفحات 272، ص25.

[2] ينظر: بدوي، (عبد الرحمن)، 1996م. – فلسفة الجمال والفن عند هيغل. ط.1، دار الشروق، بيروت، عدد الصفحات 395، ص21.

[3] ينظر: عبد اللطيف، (محمود)، 2012م. – الفكر التربوي عند الكندي. د.ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة التراث، عدد الصفحات 306، ص264–268–270–271.

[4] ينظر: يونس، (محمد)، 1980م. – تولستوي. ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سلسلة أعلام الفكر العالمي، عدد الصفحات 168، ص104.

آرائه في الفن وعلم الجمال، واتّفق مع بعض المفكرين، واختلف مع كثير منهم.[1] لقد ناقش وفنَّد فيه آراءَ الجماليِّين الآخرين حول ماهيّة الفن ومفهومه مثل: سبنسر – كانط – هيغل – شوبنهور؛[2] دفع تولستوي إلىٰ ذلك اهتمامُه بتطور الفن الروسي والعالمي؛ إذ تابع بعناية بالغة آراءَ كلٍّ من تورغينيف وتشيخوف وشيللر وبلزاك وزولا وستندال وموباسان وغيرهم؛ لذلك اكتسبت آراؤه في الفن والجمال أهميةً باثقة.[3]

مناقشة البحث:

أولاً– بين الفن والجمال والحقيقة والخير:

انتقد تولستوي تعريف الفن بكونه "ذلك النشاطَ الذي يُظهر الجمال".[4] كما أخذ علىٰ الجماليين أنهم لا يعطون تعريفاً للفن الأصيل، وبعد ذلك يحكمون علىٰ هٰذا الفن أو ذاك استناداً إلىٰ كون هٰذا النتاج متناسباً أو غيرَ متناسبٍ مع ذلك التعريف المعياري؛ إنما –بدلاً من ذلك– يختلقون تعريفاً للفن بحيث يغطّي كل النتاجات التي تَحُوز –لأسباب ما– إعجابَ أُناس الوسط الراقي؛[5] إنهم يَسِمُون كلَّ ما يروق لهم ويحقق لهم اللذة (فناً)، وكل ما عدا ذلك ليس فناً بالنسبة لهم، يقول تولستوي: ((يعتقد شيللر [Friedrich Schiller (1759–1805م.)] الذي كتب الكثير عن علم الجمال بأن هدف الفن يكمن في الجمال الذي ينحصر مصدره في التلذذ [من] دون فوائدَ عملية)).[6]

إن الفن لدىٰ تولستوي ليس نشاطاً يُظهِر الجمال ويحقق اللذة؛ فالفن قد يُظهر القبح ويُحدث الألم، إن الفن لديه أعمّ وأشمل من ذلك؛ فهو يعرّف الفن بقوله: ((الفن نشاط إنساني يكمن في أن يقوم إنسان ما –بوعي وبوساطة إشارات خارجية معروفة–

---

(1) ينظر: اليافي، (عبد الكريم)، 1999م. – بدائع الحكمة – فصول في علم الجمال وفلسفة الفن. ط.1، دار طلاس، دمشق، عدد الصفحات 494، ص191.

(2) ينظر: شرارة، (حياة)، 2011م. – تولستوي فناناً. ط.2، دار المدىٰ، بغداد، عدد الصفحات 173، ص170.

(3) ينظر: يونس، (محمد)، تولستوي. ص105.

(4) ينظر: تولستوي، (ليف)، 1999م. – ما هو الفن؟. تر. محمد عبدو النجاري، ط.1، دار الحصاد، دمشق، عدد الصفحات 259، ص20.

(5) ينظر: م.ن، ص56.

(6) السابق، ص36.

بنقل الأحاسيس التي يعاني منها {يعانيها} إلىٰ الآخرين، والآخرون (...) يعايشون هٰذه الأحاسيس))؛[1] فالكلمة –حسب تولستوي– تؤثّر فينا، ليس من خلال المواعظ والأحاديث والكتب؛ بل بوِساطة كل ما يَنقل أفكارنا وتجارِبنا؛ كذلك هو الفن بالمعنىٰ الواسع للكلمة؛ إنه يتغلغل إلىٰ كل جوانب حياتنا. ونحن لا نسمّي إلا بعض إظهارات هٰذا الفن فناً بالمعنىٰ الضيق للكلمة؛ فقد اعتدنا أن نفهم الفن علىٰ أنه ليس سوىٰ المسارحِ والحفلات والعِمارات والتماثيل والملاحم والروايات...؛ غير أن هٰذا كلَّه ما هو إلا أبسطُ أجزاءِ ذلك الفنِّ الذي نتعاشر بوساطته في الحياة.[2]

إن الفن عند تولستوي ليس حِرفة؛ إنما هو نقل الأحاسيس التي يعانيها الفنان، وهٰذه الأحاسيس يمكنها أن تولد في الإنسان فقط حينما يعيش جميع جوانب الحياة الطبيعية الخاصة بالناس؛ لذا فإن توفيرَ حاجات الفنان المادية وتحقيقَ كفايته هو من أكثر الظروف التي تُهلك إنتاجية الفن وتعيقها؛ لأنها تُحرر الفنان من ظروف الناس؛ ظروفِ الصراع مع الطبيعة بغيةَ دعم حياتهم؛ وبذلك تحْرمه معاناةَ أحاسيس الناس ومشاعرهم، فلا يستطيع أن يعبّر عنها، ومن ثَمَّ لا يقوىٰ علىٰ التواصل معهم.[3] والفن عند تولستوي لا يعكس أحاسيس الفنان فحسب؛ بل يعكس أفكاره أيضاً؛ فملخص جواب تولستوي عنْ سؤال (ما الفن؟) هو أن الفن نشاط إنساني يقوم به أحد الناس عن وعي، فيعكس أحاسيسه وأفكاره بأشكال حسية ظاهرة، فتصيب الناسَ عدوىٰ بتلك الأحاسيس، ويتقبَّلون تلك الأفكار.[4] ومما يُذكَر في هٰذا السياق أن المفكر الروسي جورجي بليخانوف Geurgie Plekhanof (1856–1918م.) وجَّه نقداً لنظرية تولستوي في الفن قائلاً[5]: ((لقد أراد الكونت تولستوي أن يعرِّف الفن بأنه "نقلٌ للمشاعر في حين أن

---

[1] م.ن، ص65.

[2] ينظر: م.ن، ص66.

[3] ينظر: م.ن، ص293.

[4] ينظر: تولستوي، (ليف)، 1964م. – مجموعة المؤلفات في عشرين مجلداً. مج.15، موسكو، ، ص44، نقلاً عن يونس، (محمد)، تولستوي. ص109.

[5] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، 1998م. – فلسفة الجمال – أعلامها ومذاهبها. ط.1، دار قُبَاء، القاهرة، عدد الصفحات 245، ص177.

اللغة تنقل الأفكار." وليس هٰذا الرأي صحيحاً؛ فإن الكلمات كما تنقل لنا الأفكار يمكن لها –أيضاً– أن تنقل المشاعر والانفعالات)).[1] ينضاف إلى ذلك –ردَّاً على دعوى بليخانوف– أن تولستوي –كما ذكرنا مُذ قليل– حدّد الفن بكونه نشاطاً ينقل أحاسيسَ وأفكاراً، وليس أحاسيسَ فقطْ؛ إذ إن رسالة الفن عند تولستوي –كما سيرِد لاحقاً– هي نقل الحقيقة من مجال العقل إلىٰ مجال الأحاسيس؛ والحقيقة هي مجال العقل وموضوعه؛ وهي فِكْر؛ ومن ثَمَّ فإن الفن يسهم بطريقة أو بأخرىٰ في نقل المحتوىٰ الفكري.

إذاً، تولستوي نأىٰ في تعريفهِ الفنَّ عن الأخذ بالتصورات الجمالية التي تدور حول فكرة الجمال الغامضة أو التعريفات اللَّذِّيَّة التي ترىٰ الفنَّ مُشبِعاً في الإنسان لَذّاتٍ معينةً، ورأىٰ أنه نشاط انفعالي ولغةٌ تُوصِلُ مشاعرَ وتنقل أفكاراً. وهو بذلك يتفق مع المفكر الفِرنسي أوجين فيرون الذي رأىٰ أن غايةَ الفنون التعبيرية التعبيرُ عن الانفعالات، ويجب ألّا نقيِّمها بمعايير الجمال واللذة، بل بمعايير التعبير والمعنىٰ.[2]

أما الجمال، فقد رأىٰ تولستوي أن ثمة خلطاً واضطراباً وتعدداً في تحديد مفهومه، فمُذ تأسس علم الجمال علىٰ يد باومغارتن[*3] حتىٰ أيام تولستوي وما يزال سؤال (ما الجمال؟) مفتوحاً بشكل مطلق؛ لقد ظل مفهوم "الجمال" لُغزاً بعد عشرات العقود من مناقشات آلاف المفكرين حول فحوىٰ هٰذه الكلمة؛[4] فمنهم من رأىٰ أن الجمال هو الشيء الذي يفوز بالإعجاب من دون فائدة عملية،[5] ومنهم من رآه ذلك الشيءَ الذي يوفِّر أكثرَ المَلذّات.[6] وقد رأىٰ تولستوي أن كل تعريفات الجماليين للجمال كانت تنحو منحيَين؛ الأول هو (الكمال)، والثاني هو (المتعة)، وما كان ذلك ليُقنع تولستوي؛ إذ يقول: ((ما الذي خرجنا به أخيراً من كل (...) الآراء التي قيلت حول علم الجمال وتحديده؟ إذا أَهملنا

---

[1] م.ن، ص نفسها.

[2] ينظر: م.ن، ص 172.

[*3] ألكسندر جوتليب باومغارتن Alexander Gottlieb Baumgarten (1714–1762م.): فيلسوف وعالم جمال ألماني.

[4] ينظر: تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص24.

[5] ينظر: م.ن، ص36.

[6] ينظر: م.ن، ص35.

تعاريفَ الجمال المفرِطةَ في الخطأ، والتي لا تغطِّي مفهوم الفن؛ التعاريفَ التي تفترض الجمالَ في الفائدة أحياناً، وفي التناسب أحياناً أخرىٰ، في التماثل تارةً، وفي النظام والتجانس تارةً أخرىٰ، في النعومة مرةً، وفي تناسق الأجزاء مرة أخرىٰ، في الوَحدة حيناً، وفي التنوع حيناً آخرَ (...)؛ إن كل التعريفات الجمالية للجمال تقودنا إلىٰ رأيين أساسيين: الأول: إن الجمال هو شيءٌ ما موجودٌ بذاته، وهو أحد مظاهر الكَامِل المطلَق (الفكرة – الروح – الإرادة – الله)، الثاني: يفيد بأن الجمال هو نوع من أنواع المتعة التي يحصل عليها المرء، والخالية من غايات شخصية)).[1]

وخلص تولستوي إلىٰ أن ثمَّة تعريفينِ للجمال: الأول: موضوعي صوفيٌّ يتوحد مع الكمال؛ مع الله سبحانه وتعالىٰ؛ وهو –حسب تولستوي– تعريفٌ خيالي وغير مدعَّمٍ بشيءٍ وليس محدَّداً؛ ولذا فهو فضفاض يشمل الدين والحياة والفلسفة، وهٰذا نجده لدىٰ الفيلسوف الألماني هيغل Georg Hegel (1770–1831م.) وأنصارِه. أما التعريف الثاني فهو ذاتي؛ إذ يَعُدّ الجمالَ ذاك الشيءَ الذي يَنال إعجابَنا ويُشعرنا باللذة، وبالرغم من كَوْن هٰذا التعريف يبدو واضحاً، إلا أنه غير دقيقٍ؛ لأنه يتوسع فيشمل التلذذ من جَرَّاء تناول الغِذاء، وملامسة الأجسام الناعمة، وما شابه ذلك، وهٰذا هو الجمال كما حدده كانط Immanuel Kant (1724–1804م.) وأتباعُه.[2] ومن ثَمَّ فإننا –من الناحية الذاتية– نسمّي الأشياءَ التي توفر لنا اللذة أشياءَ جميلةً. ومن الناحية الموضوعية فإننا نعني بالجميل ذلك الشيءَ الكامل المطلَق الموجودَ خارجَ ذواتِنا، ونعترف به جميلاً؛ فقط لأننا نحصل منه علىٰ "متعة مميَّزة"، ومن ثَمَّ فإن التعريف الموضوعي ما هو إلا تعريف ذاتيٌّ يعبَّر عنه علىٰ نحوٍ مغايِر.[3]

إن تعريف الجمال بهٰذه الطريقة –وفقاً لتولستوي– غيرُ كافٍ لتعريف الفن المبني علىٰ أساس الجمال؛ أي علىٰ أساس الأشياء التي تنال الإعجاب، إنما يجب علىٰ علم الفن أن يبحث عن تعريف عامّ للفن يحيط بكل النتاجات الفنية، ويستطيع إقرارَ انتماءِ

---

[1] م.ن، ص51.

[2] ينظر: م.ن، ص52.

[3] ينظر: السابق، ص53.

موادَّ معينةٍ إلىٰ الفن أو عدمِ انتمائها.[1] ونحن نلاحظ هاهنا أن عدم رضا تولستوي عن تعريف الجمال مرتبطٌ بعدم رضاه عن تعريف الفن؛ إذ إن التعريفين مبنيَّان علىٰ أساس لَذِّيّ.

لقد رأىٰ تولستوي أن هناك خللاً في آلية تحديد مفهومَي "الفن والجمال"، وأن نظرية الفن لا يجب أن تُبنىٰ علىٰ أساس "المتعة"، إنما علىٰ مبدأ "الأهمية"، يقول: ((إن نظرية الفن المبنية علىٰ الجمال (...) ليست الاعترافَ بأن الأشياء الجيدة هي تلك التي كانت وما تزال تفوز بإعجابنا (...)، ومن أجل تحديد أي نشاط إنساني، لا بد من إدراك مغزاه وأهميته، ومن أجل إدراك مغزىٰ أي نشاط إنساني وأهميته، فلا بد قبل كل شيءٍ من النظر إلىٰ هٰذا النشاط من داخله؛ وذلك فيما يتعلق بأسبابه ونتائجه، وليس بالنسبة إلىٰ تلك المتعةِ التي يوفِّرها لنا ذلك النشاطُ)).[2] ويوضح تولستوي ذلك بوِساطة مثال عنِ الطعام، فيقول: ((إننا إذْ نناقش المسألة المتعلقة بالطعام لا يخطر علىٰ بالِ أيٍّ منا أن نلاحظ أهمية الطعام من خلال اللذة التي نحصل عليها في أثناء تناوله (...)؛ وهكذا هو الأمر بالنسبة إلىٰ الجمال؛ فالأشياء التي تفوز بإعجابنا ليس بوسعها أبداً أن تكون بمثابة أساس لتحديد الفن وتعريفه (...). إن الناس الذين يَعدّون أن هدف الطعام وأهميته يكْمُنان في اللذة لا يستطيعون أبداً إدراك مغزىٰ الطعام الحقيقي؛ كذلك الناس الذين يعدون هدف الفن هو اللذة؛ لا يستطيعون إدراك مغزىٰ الفن وحقيقته (...)، لقد أدرك الناس أن مغزىٰ الطعام هو تغذية الجسد عندما كَفّوا عن جعلِ اللذة هدفاً(...) [له]؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلىٰ الفن؛ إذ إن الناس سيدركون مغزىٰ الفن عندما يكفُّون عن جعلِ هدفِ هٰذا النشاطِ الجمالَ؛ أي التلذذ)).[3]

وبذلك يتضح رفضُ تولستوي إقامةَ نظريةِ الفن علىٰ أساس اللذة (الجمال)، ومن ثَمَّ يؤكِّد رفضَهُ لجعل الجمال هدفاً للفن، ويدعو إلىٰ الإقلاع عن ربط الفن بالجمال، ويرىٰ أنهما شيئانِ منفصلان؛ إذ يقول: ((علىٰ الرغم من جبال المؤلَّفات المكتوبة حول الفن، فلم

---

[1] ينظر: م.ن، ص53–54.

[2] م.ن، ص57.

[3] السابق، ص57–58.

يتمكن أحدٌ من وضع أيّ تعريف دقيق للفن؛ ويعود سبب ذلك إلىٰ أنهم قد وضعوا مفهوم الجمال في أساس مفهوم الفن))،[1] ورأىٰ أن أفكار القدماء حول الفن لم تكن من حيث الجوهرُ تشبِه أفكارنا؛ فقد بدا في أثناء النظر الدقيق في نظرية الفن والجمال لدىٰ أفلاطون Plato (427–347 ق.م) وأرسطو Aristotle (384–322 ق.م) وأتباعِهما أن الفن والجمال شيئان منفصلان.[2] لقد أورد تولستوي هٰذا الكلام في سياق تأييده لرؤية الفلاسفة اليونان القدماء حول "نظرية الفن والجمال"؛ تلك النظرية التي تفصِل بينهما؛ فإذا عُدنا إلىٰ اللغة اليونانية سنجد أنْ لا وجودَ لأيّة صِلةٍ بين الفن والجمال؛ فكلمة "الجمال" عند أفلاطون تعني الشيء الذي يُرْغمنا علىٰ الإعجاب به، فنظرية الجمال عنده غير مرتبطةٍ بنظرية الشعر، أو أيِّ فنٍّ آخر، بل مرتبطة بنظرية الحب الجنسي، وبنظرية الأخلاق، وهي مرتبطة –عند أرسطو– بنظرية المعرفة.[3] كما أبدىٰ تولستوي إعجابه برأي باحث رأىٰ أنه قد أدرك عناصرَ مهمةً في الفن وهو المفكر الفرنسي فيرون Veronالذي فصل الفن عن الجمال حينما رآه تجلِّياً للانفعالات الناشئة من تمازج الخطوط والأشكال والألوان وغير ذلك، ولكن فيرون –كما رأىٰ تولستوي– قد غَفَلَ عن الظاهرة الأساسية في الفن، وهي التقاء تلك الانفعالات وانتقالها وتبادلها بَعد التعبير عنها.[4]

ومما يستدعيه هٰذا السياق تطرُّقُ تولستوي للعلاقة بين (الجمال والحقيقة والخير)، فقد انتقد هٰذا الثالوثَ أيَّما انتقاد، وقد بدأ من مؤسِّس علم الجمال باومغارتن الذي رأىٰ أن موضوعَ المعرفة الجمالية (الشعورية) هو الجمال، وموضوعَ المعرفة المنطقية (العقلية) هو الحقيقة، وموضوع المعرفة الأخلاقية الخيرُ، ويعتقد باومغارتن أن أعلىٰ إنجاز للجمال ندركه في الطبيعة. ثم ينتقل تولستوي إلىٰ ميندلسون Mendelssohn (1729–1786م.) الذي رأىٰ أن الجمالَ تحوُّلُ الرائعِ المدرَك بأحاسيسَ

---

[1] م.ن، ص59.

[2] ينظر: م.ن: ص80–81.

[3] ينظر: كولنجوود، (روبين جورج)، 2001م. – مبادئ الفن. تر. أحمد محمود، مر. علي أدهم، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الصفحات 267، ص79–80.

[4] ينظر: اليافي، (عبد الكريم)، بدائع الحكمة. ص297.

غامضةٍ إلىٰ الحقيقة والخير، ثم عَرَض تولستوي لرأي هيغل الذي يرىٰ أن الجمال والحقيقة شيءٌ واحد، والفرق بينهما أن الحقيقة تعني الفكرة ذاتها وأنها تتواجد في ذاتها وتُدرَك بذاتها، أما الجمال فهو إظهار الفكرة بوساطة المحسوسات، ورأىٰ تولستوي أن آراء هٰؤلاء المفكرين وأشباهِهم تَمْحِي الفوارقَ بين الجمال والحقيقة والخير وتمزج الجمال بهما.[1]

وقد فرَّق تولستوي بين كلٍّ من المفاهيم الثلاثة مُثبِتاً البَون بينهما بالحُجة العقلية؛ يقول: ((الخير هو هدف حياتنا الأبديُّ والسامي (...)؛ إن حياتنا ما هي سوىٰ الطموحِ نحو الخير؛ يعني نحو الله (...)، الخير هو ذلك الشيء الذي لم يحدِّدْه أحدٌ، ولكنه هو الذي يحدد كل الأشياء الباقية. أما الجمال (...) فهو ليس سوىٰ الأشياءِ التي نعجب بها، إن مفهوم الجمال لا يتطابق مع الخير، بل يتناقض معه علىٰ الأغلب؛ وذلك لأن الخير غالباً ما يتطابق مع الانتصار علىٰ الشهوة؛ أما الجمال فهو أساس كل شهواتنا، وبقدْر ما نَخضع للجمال بقدر ما نبتعد عن الخير، أنا أعرف أنهم يقولون دائماً في هٰذه الحالة: إن هناك جمالاً أخلاقياً وروحياً، غيرَ أن هٰذا لعبٌ بالألفاظ وحسب؛ لأن القصد من الجمال الروحي أو الأخلاقي إنما هو الخير ليس إلا. (...) [أما] الحقيقة فهي تَتَاسبُ تعبيرِ المادة وتحديدِها مع جوهرها (...)؛ ولذلك فهي واحدة من وسائل بلوغ الخير، ولكنها ذاتها ليست خيراً ولا جمالاً، ولا تتطابق معهما البتَّةَ. إن سقراطَ [Socrates (470–399 ق.م)] وباسكال [Pascal (1623–1662م.)] علىٰ سبيل المثال، والكثير سواهما عدّوا معرفة الحقيقة عن الأشياء غيرِ النافعةِ و[غيرِ] المفيدة لا تتفق مع الخير. ولا تملك الحقيقةُ أيَّ مشترك مع الجمال وتتناقض معه في الغالب؛ لأن الحقيقة في أكثر الأحيان –إذْ تَفضح الخداعَ– تَنْسف التخيّلَ في الوقت ذاته؛ والتخيُّلُ هو شرطُ الجمال الأساسيُّ)).[2]

ثانياً– الفنُّ أداةُ نقلٍ وتوصيل:

---

[1] ينظر: تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص30–31–39.

[2] السابق: ص85–86.

لقد نظر تولستوي إلىٰ الفن علىٰ أنه ضرورة للحياة الإنسانية؛ لأنه يكشف للناس عن أشياءَ جديدة، ويعلمهم أن يرَوا ويفهموا ويشعروا، والمِيزة الأساسية للفن هي قدرته علىٰ العدوىٰ التي ينقلها الفنان إلىٰ القارئ والمستمع والمشاهد، فيجعله يعاني نفسَ المشاعر التي عاناها عندما أَنتج فنه. ويؤكد تولستوي أن الإنسان البارد واللامبالي والجاهل يجب ألا يعمل في حقل الفن أبداً، ورأىٰ أن النتاج الفني المتميز لا ينتج إلا عندما يبحث الفنان؛ فالفن يجب أن يكون بحثياً ذا مغزىً،[1] وقد قال تولستوي مشدِّداً علىٰ أن مقدار عدوىٰ الفن هو المقياس الوحيد لتقييمه: ((إذا عانىٰ الإنسان (...)، وتأثر بحالة {حال} المؤلف الروحية، وشعر باندماجه مع الآخرين، فإن الموضوع الذي أثار هٰذه الحالة هو الفن، وإذا لم تكن هٰذه العدوىٰ، ولا الاندماج (...)، فليس ثمة أيُّ فنٍّ. و(...) فضلاً عن أن العدوىٰ هي –[من] دون ريب– سمةٌ من سمات الفن، فإن مقدار هٰذه العدوىٰ يعد المقياسَ الوحيد لقيمة الفن؛ بقدر ما تكون العدوىٰ أقوىٰ، بقدر ما يكون الفن أفضلَ كفنٍّ {بوصفه فناً} [من] دون الحديث عن مضمونه؛ أقصد بغض النظر عن قيمة الأحاسيس التي ينقلها. ويصبح الفن أكثرَ عدوىٰ أو أقلَّ نتيجةَ الشروط التالية {الآتية}:

1– نتيجة المزايا الكبيرة أو الصغيرة للإحساس الذي ينقله.
2– نتيجة الجلاء الكبير أو الصغير في نقل الإحساس.
3– نتيجة مصداقية الفنان؛ أقصد القوة أو الضعف في معاناة الفنان ذاتِه مع الإحساس الذي ينقله)).[2]

ويؤكد تولستوي أن الفن أداة اتصال وتفاعل بين الناس، ووسيلة نقل الأحاسيس وتطويرها، وتبعاً لمدىٰ تحقيق الفنِّ هٰذه المهامَّ تتحدّد قيمتُه، يقول: ((يشكل الفن مع الكلام وسيلةً للاختلاط، وبالتالي {ومن ثَمَّ} وسيلة للتقدم؛ أي أنه الوسيلة التي تدفع حركة البشرية إلىٰ الأمام ونحو الكمال (...)؛ إن الفن يساعد الأجيال الأخيرة أن تعاني من تلك {تعاني تلك} الأحاسيس التي عانىٰ منها {عاناها} الناس من قَبْلِهم. [و] يتم تطوُّر الأحاسيس بوِساطة الفن؛ إذ تُزاح الأحاسيسُ الوضيعة الأقلُّ خيراً ونفعاً لصالح الناس،

[1] ينظر: لومونوف، (ك.)، صفحات مجهولة من حياة تولستوي. ص188.
[2] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص190–191.

وتَحلُّ محلَّها الأحاسيس الأكثر خيراً ونفعاً لهذا الصالح، وفي هذا تكمن غاية الفن ومَهمته، ولذلك يكون الفنُّ –من حيث مضمونُه– أفضلَ بقدْر ما يحقق هذه المهمةَ أكثرَ، ويكون أسوأَ بقدر ابتعاده عنها)).[1]

وقد أكد تولستوي دور الفن في كشف الحياة النفسية المعقَّدة للفنان ونقلها إلىٰ المتلقين؛ إذ يقول: ((الغرض الرئيسي للفن هو قول الحقيقة حول النفس الإنسانية؛ الإفصاح عن تلك الأسرار التي يستحيل التعبير عنها بالكلمة البسيطة، هذا هو الفن، الفن ميكروسكوب[*2] يسلِّطه الفنان إلىٰ أعماق نفسه لينقل لنا تلك الأسرارَ والمكنوناتِ العامةَ والخاصة بكل الناس)).[3]

ونجد عدداً من الفلاسفة تتقاطع آراؤُهم مع رأي تولستوي في كون الفن أداةَ تعبير ونقل واتصال، ومن هؤلاء الفلاسفة جان غويو Jane Guyau (1854–1888م.) الذي رأىٰ أن الفن يمثّل جميع جوانب الحياة، وأنه يتجاوز الجمال والقبح ليصور الحياة والواقع، ويضطلع بوظيفة تقوية شعورنا بالحياة.[4] كما أن جون رسكن John Ruskin (1819–1900م.) يتفق مع تولستوي بكون الفن أداة إخبار؛ إذ يقول: ((إن أعظم ما يقوم به المرء علىٰ الإطلاق في العالم هو أن يبصر شيئاً ويخبر عما أبصر بطريقة عفوية بسيطة، والفنان هو البصير المرهَف الدقيق الذي زاول المشاهدة الصحيحة حتىٰ أصبحتْ له عادةً نبيلة تأصَّلتْ فيه [من] دون تكلفٍ ولا عناء)).[5]

إن نظرية تولستوي في الفن وكونه أداةَ نقلٍ واتصال تُحِيْلنا إلىٰ نظرية "المعادل الموضوعي" لدىٰ ت. س. إليوت Thomas Stearns Eliot (1888–1965م.)؛ فكما علِمنا الفنُّ لدىٰ تولستوي هو نقلُ عدوىٰ الشعور من الباثّ إلىٰ المتلقي، والفن المتميّز

---

[1] م.ن: ص194.

[*2] ميكروسكوب: جهاز لتكبير الأجسام الصغيرة.

[3] بيتروف، (س.)، 2012م. – الواقعية النقدية في الأدب. تر. شوكت يوسف، ط.1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، عدد الصفحات 288، ص187.

[4] ينظر: اليافي، (عبد الكريم)، بدائع الحكمة. ص274.

[5] م.ن: ص280.

عنده هو الذي ((يُلغي الوعيَ الفاصل بين المتلقي والكاتب، وهي درجة من التماهي تشترط –حسب تولستوي– صدقَ الفنان، ثم تفهُّمَ الفردية في العاطفة المنقولة، ودرجةً من الوضوح في نقلها))؛[1] فتولستوي يقول: ((إن أيَّ نتاجٍ فنِّيٍّ يعمل علىٰ دخول المتلقي في نوع من الاختلاط بمُنتِجي الفن في الماضي والحاضر وبكل أولئك الذين تلقَّوا معه أو بعده أو سيتلقَّون فيما بعدُ تلك الانطباعاتِ الفنيةَ ذاتَها (...). إن نشاط الفن مبنيٌّ علىٰ أن الإنسان الذي يتلقىٰ بوساطة السمع أو البصر أحاسيسَ إنسان آخرَ بوسعه أن يعاني من تلك {يعاني تلك} الأحاسيس نفسها التي عاناها الإنسان الذي عبَّر عنها))؛[2] فمَهَمَّة الفن لدىٰ تولستوي أن ينقل شعور الفنان بوساطة الحركات والخطوط والألوان والأصوات وغيرها بطريقة تجعل الآخرين يعانون نفسَ الشعور؛[3] أليس ما تقدم مشابهاً لقول إليوت الآتي: ((الطريقة الوحيدة للتعبير عن الانفعال في شكل فنٍّ تنحصر في إيجاد معادل موضوعي، وبكلمات أخرىٰ: مجموعة من الموضوعات والأوضاع وسلسلة من الحوادث تكُوْن معادِلةً لذلك الانفعال الخاص، حتىٰ إذا ما أُعطيتِ الوقائعُ الخارجية التي ينبغي أن تنتهي بتجرِبة حسِّية استُعيد الانفعال نفسُه حالاً)).[4]

إذاً، فالفن لدىٰ كلٍّ من تولستوي وإليوت هو أن ينقل الفنان إلىٰ الناس مشاعرَ عاناها، وذلك بوساطة طائفة من الحركات والإشارات والأصوات، بحيث يشعرون بنفس تلك المشاعر عندما يتلقَّون ذلك العملَ الفني. كما يتفق مع تولستوي في هذه القضية بينيديتو كروتشه Benedetto Croce (1866–1952م.) الذي يرىٰ أن ((الفنان إنما

---

(1) مجموعة من المؤلفين، 2005م. – صفحة جديدة – اللقاء الأدبي للشباب العربي – الدورة الأولىٰ. ط.1، دار شرقيات، القاهرة، عدد الصفحات 209، ص55.

(2) تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص62.

(3) ينظر: كريستيان، (ر. ف.)، 1983م. – تولستوي – مقدمة نقدية. تر. عبد الحميد الحسن، د.ط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، عدد الصفحات 391، ص347.

(4) الخطيب، (حسام)، جوانب من الأدب والنقد في الغرب. ص402.

يقدِّم صورة أو خيالاً، والذي يتذوق الفن يدور بطَرْفِهِ إلىٰ النقطة التي دلَّه عليها الفنان، ويَنظر من النافذة التي هيّأها له؛ فإذا به يعيد تكوينَ هٰذه الصورة في نفسه)).[1]

ثالثاً– الفنّ حَوَامِلُهُ الدينية ووظائفه الأخلاقية:

"إنَّ مَهَمَّةَ الفَنِّ تَحْقِيْقُ وَحْدَةِ النَّاسِ الأُخَوِيَّة"
تولستوي.[2]

1– حوامله الدينية:

يرىٰ تولستوي أنَّ ثَمَّة مجالاً يميِّز الغايات الصالحة من الفاسدة؛ إنه الدين؛ وهو الذي يدعو إلىٰ عبادة الله وطاعته والعمل بمشيئته، وقد حادَتِ النهضة الأوروبية عن ذاك المجال، ورجعتْ إلىٰ اعتباراتها الوثنية، وانفصلت عن الدين، واقتنتِ الثروات، وتشبثت بزمام السلطة السياسية، ثم احتضنت الفن وأنبتته علىٰ التصور الوثني للذة الشخصية، وجعلت قِوامَه الجمالَ القائم علىٰ اللذة. إن الفن لدىٰ تولستوي ينقل المشاعر والأحاسيس، ويتم تحديد ما في تلك المشاعر من خير أو شر بالوعي الديني وبفهم جوهر الدين الذي يوضح معنىٰ الحياة ومصلحة المجتمع العليا، ولكل زمن وعيٌ ديني وفنٌّ يتَّسم بذلك الوعي، وهٰذا الوعي يفيد بأن المصلحة المادية والروحية، الخاصة والعامة، الآنية والأبدية تكمن في أخوَّة الناس العالمية ووَحدتهم الحميمية.[3]

إن الوعي الديني –حسب تولستوي– هو المِعيار الذي تُحدَّد به جودةُ الفن أو رداءتُه، وبه يُفصل بين الخير والشر، يقول تولستوي: ((إن تثمين محاسن الفن؛ أي تلك الأحاسيس التي ينقلها الفن يتعلق بإدراك الناس لمغزىٰ الحياة، وفي أي شيءٍ يرىٰ الناس خيرَ الحياة وشرها، أما خير الحياة وشرها فيتحدّد بذلك الشيءِ الذي يسمَّىٰ الأديان (...). إن الأديان هي مرشد ذلك الإدراك العالي للحياة (...)؛ ولذلك فإن الأديان فقط كانت وما تزال أساساً لتقويم أحاسيس الناس، وإذا كانت هٰذه الأحاسيس تقرِّب الناس من ذلك المثال

---

[1] كروتشه، (ب.)، 2009م. – فلسفة الفن. تر. سامي الدروبي، ط.1، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، عدد الصفحات 167، ص29.

[2] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص259.

[3] ينظر: اليافي، (عبد الكريم)، بدائع الحكمة. ص297–298–301.

الذي يشير إليه الدين، ويتفق معه، ولا يتناقض معه، فهي أحاسيسُ جيدةٌ، أما إذا كانت الأحاسيس تُبعد الناس عن ذلك المثال، ولا تتفق معه، بل وتتناقض معه، فهي سيِّئة.[1] [إن] تقويم الأحاسيس (...) علىٰ أنها أكثرُ خيراً أو أقل، أكثر أو أقل لُزوماً لصالح الناس، يتم بوساطة الوعي الديني لزمن معيَّن[2])).

ويؤكد تولستوي أن الوعي الديني لا الجمالَ هو مرشد الفن وسائسُهُ، وهو الذي يحدِّد سَمْتَهُ الصحيح ويصوِّب مساره، وبقدْر سير الفن علىٰ سَنَن هٰذا الوعي، وبقدر ابتعاده من التقويم الجمالي اللَّذِّيِّ، يُضبَط إيقاعُه، ويسير تُجاه هدفه، يقول تولستوي: ((لقد تم تفسير الوعي الذي يكمن في الاعتراف بهدف الحياة العامِّ والخاص، وبوَحدة الناس؛ ولذلك لا يتوجب علىٰ الناس سوىٰ التخلّي عن نظرية الجمال تلك الكاذبة والزاعمة بأن التلذذ هو هدف الحياة، حتىٰ يصبح الوعي الديني بصورة طبيعية مرشداً لفن زمننا. وما إن يعترف الناس بالوعي الديني الذي يرشد حياتهم (...)، حتىٰ يزول من تلقاء ذاته تقسيمُ الفن إلىٰ فن الفقراء وفن الطبقات الغنيَّة، وسيَظهر فنٌّ عامٌّ أَخَويٌّ، و(...) وسيُنبذ الفنُّ الذي ينقل الأحاسيس غيرَ المتَّفقةِ مع الوعي الديني لِزَمَننا)).[3]

إن معيار الحُكم علىٰ الفن عند تولستوي هو ذوق الجمهور ومسايرته لرؤىٰ الدين وأهدافه.[4] وإن غياب الوعي الديني عند الطبقات العليا أفسدَ الفن، وفقدان الإيمان هو سبب التلفيق الذي حصل للفن، يقول تولستوي: ((إن عدم إيمانِ الطبقات العليا الديني في المجتمع الأوروبي قد سبَّب في أنه بدلاً من نشاط الفن الذي كان يهدف إلىٰ نقل الأحاسيس السامية النابعة من الوعي الديني الذي بلَغَتْه البشرية، ظهر نشاط لا يهدف إلا إلىٰ توفير أكبر الملذات لوسَط معيَّن من الناس (...)، وسمِّي فناً (...). إن هٰذا التحريف في الفن قد أَضعف الفن ذاتَه، وأوصله إلىٰ حدود الهلاك تقريباً، وكانت العاقبة الأولىٰ لذلك هي أن الفن حُرِم من مضمونه الديني (...)، والعاقبة الثانية هي أن الفن (...) قد

---

[1] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن. ص69–70.

[2] م.ن: ص194.

[3] السابق، ص233.

[4] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، فلسفة الجمال – أعلامها ومذاهبها. ص174–175.

بات مفرِطاً في التذويق ومُبهَماً، وثالثة العواقب وأهمها هي أن الفن ما عاد صادقاً وصار ملفّقاً وعقلانياً.[1] ويكمن سبب التلفيق الذي وقع فيه فن مجتمعِنا في أن الطبقات الغنية – إذ فقدت الإيمان في الحقائق الكنَسيّة التي تسمَّىٰ بالعقيدة المسيحية– لم تَعْزم علىٰ تبنّي العقيدة المسيحية بمعناها الحقيقي والأساسي)).[2]

إن نَواة الفن لدىٰ تولستوي يجب أن تكون دينية، وقد فحص تولستوي العمل الفني وقيَّمه بوساطة معيار هو تأثيره الديني في الجمهور، وأكّد أن الفن الأعلىٰ هو الذي يتخلّله الوعي المسيحي ويوشِّحه؛[3] فإن كان هٰذا الفن مُنبعِثاً من الشعور المسيحي الصحيح؛ ذلك الشعور الحكيم العاقل، فهو وقتئذٍ يوحّد الناس ويجمع شَمْلهم علىٰ أسمىٰ درجات الفهم والتآخي والحب؛[4] إذ يقول تولستوي معبِّراً عن ذلك: ((إن الفن المسيحي إما أن يثير في الناس الأحاسيس التي تجذبهم –من خلال حب الله والقريب– إلىٰ وَحْدة أكبرَ فأكبرَ (...)، وإما أن يثير فيهم الأحاسيس التي تبيِّن لهم بأنهم [أنهم] متَّحِدون في أفراح الحياة وأتراحها)).[5]

2– وظائفه الأخلاقية:

يختلف الجماليون في تحديد وظيفة الفن، فمنهم من يذهب إلىٰ أن الفن يُمتِع بما فيه من جماليات بعيداً من الأفكار والأيديولوجيات والأخلاق والصدق، وبعضهم يرىٰ أنه لا بد من تسلُّل التعاليم والأخلاقيات إلىٰ الفن.[6] وعندما كتب تولستوي مؤلَّفَه «ما هو الفن؟» كان القَرنُ التاسعَ عشرَ قد أوشك علىٰ الغروب، وكان ثمة معاركُ عنيفةٌ قد دارت

---

[1] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص94.

[2] م.ن: ص230.

[3] Смотрю: Одесская, (Маргарита Мо Исеевна), 2015 - Два Сна: Творец И Судья Размышления Л. Н. Толстого Об Искусстве. Памяати Льва Толстого, Казанского Университета, С.61.

[4] ينظر: الخفيف، (محمود)، 2002م. – تولستوي – قمة من القمم الشوامخ في أدب هٰذه الدنيا قديمِه وحديثه. ط.2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، عدد الصفحات 431، ص381.

[5] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص205.

[6] ينظر: الموسىٰ، (خليل)، 2008م. – جماليات الشعرية. د.ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات (4)، عدد الصفحات 386، ص23.

بين مذاهب النقد الفني، وخمدت مُفرِزةً شعاراتٍ متعددةً، وكانت قدِ اتفقتْ طائفة من المفكرين علىٰ ضرورة ارتباط الفن بالواقع، غيرَ أن ثُلّةً من الأدباء والفنانِين فصَلت الفن عن المجتمع والأخلاق ورفعت شِعار "الفن للفن". تولستوي دافع عن ربط الفن بالمجتمع والأخلاق، وأكَّد أن له تأثيراً فاعلاً في الحياة يجعله غيرَ مستقلٍّ عن الدين والأخلاق، وقد طرح هٰذه القضية في كتابه «ما هو الفن؟» الذي يعدّ من أهم المحاولات التي شهدها علم الجمال الاجتماعي في تأميم الثقافة.[1]

ونشير هاهنا إلىٰ أن تولستوي كان في مراحله الأدبية الأولىٰ من القائلين بمبدأ الفن لذاته أو "الفن للفن"، لكنه لمّا عاد إلىٰ الفن بعد اشتغاله بالدين ناصَرَ الرأيَ القائل: إن الفن وسيلة لغاية نبيلة هي السمو بالحياة الإنسانية وتمجيد الفضيلة؛[2] إن هٰذا الانقلاب في أيديولوجية تولستوي لم يكن حدَثاً خاصَّاً بتولستوي؛ إنما كان استجابة لتطوّر السَّيْرورات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية؛ إذ حصلتْ إعادة نظر وتوجيه للأعمال الإبداعية وغاياتها.[3]

رفضَ تولستوي مقولة "الفن للفن"؛ تلك المقولة التي تَفصِم عُرىٰ التواصل بين الفن والمجتمع، وتُنشئ بَرزخاً بينه وبين الأخلاق، ورأىٰ أن للفن وظائفَ ومهامَّ أخلاقيةً عديدة يجب عليه الاضطِلاعُ بها؛ إذ يقول: ((إن مهام الفن هائلة؛ فعلىٰ الفن (...) أن يفعل بحيث يتمّ بلوغُ تعايشِ الناس السِّلمي الذي يتم التوصل إليه الآن بتدابيرَ خارجية (القضاء – البوليس – مؤسسات البِر والإحسان) (...)، علىٰ الفن أن يزيل العنف (...)، بمساعدة الفن [يمكن] نقلُ إحساسِ الإجلال للأيقونة، وإحساس الخجل من خيانة العلاقات الرِّفاقية، وإحساسِ الوفاء للراية، وضرورةِ الانتقام من الإهانة، [و] ضرورة التضحية بالجهود من أجْل بنَاءِ المَعابد وتزيينها، وواجب الدفاع عن الشرف أو مجد الوطن، فإن ذلك الفن ذاتَه بوسعه أن يثير الإجلال تُجاه قيمة كل إنسان، وحياة كل حيوان، بوسعه أن

---

[1] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، فلسفة الجمال – أعلامها ومذاهبها. ص171–172.

[2] ينظر: الخفيف، (محمود)، تولستوي. ص261.

[3] ينظر: باختين، (ميخائيل)، 1987م. – الخطاب الروائي. تر. محمد برادة، ط.1، دار الفكر، القاهرة، عدد الصفحات 190، ص173.

يثير شعور الخجل من البذخ والعنف والانتقام، ومن استخدام الموادِّ الضرورية لحياة الآخرين من أجل المنافع الخاصة، بوسع ذلك الفن أن يرغم الناس علىٰ التضحية (...). علىٰ الفن أن يجعل أحاسيس الأخوَّة والحب تُجاه الغريب (...) غرائزَ طبيعيةً لعامة الناس (...). إن رسالة الفن في زمننا تكمن في نقل الحقيقة من مجال العقل إلىٰ مجال الأحاسيس الحقيقية التي تفيد بأن خير الناس ينحصر في وحدتهم، وفي تثبيت المملكة الإلهية؛ أقصد مملكة الحب التي تبدو لنا جميعاً بأنها {أنها} أسمىٰ هدفٍ لحياة البشرية)).[1]

إذاً، الفن لدىٰ تولستوي ليس نشاطاً عابثاً؛ إنما هو نشاط هادف موظَّف يستعمل للارتقاء بالأخلاق الإنسانية، وبناء نظام قيمي تَظهر ملامحُه في الممارسة السلوكية العملية. علىٰ الفن أن يضخ الخير والفضيلة في المجتمع الإنساني ليسمو ويحقق الهدف الأساسي من الوجود. وتولستوي يتفق في نظريته هٰذه مع طائفة من الفلاسفة والمفكرين؛ إذ نجد الشاعر والفيلسوف فريدريك شيللر يحلم بصقل الأخلاق وسموّ الإنسان بوساطة الفن.[2] كما نجد نزعة فنية أخلاقية لدىٰ جون رسكن الذي يرىٰ أن علىٰ الفنان أن يتزوَّد بالحس الأخلاقي، وأن يكون محباً شريفاً نزيهاً قبل أن يكتب أو يرسم؛ حتىٰ يحقِّق فنُّه الخيرَ.[3] كما يتلاقىٰ تولستوي مع جان غويو الذي شدَّد علىٰ ربط الفن بالحياة، وأكد أنّ علىٰ الفنّ تحقيقَ التضامن الاجتماعي والتعاطف الكلِّي والسموّ الأخلاقي.[4] ويتلاقىٰ تولستوي –أيضاً– مع الفلاسفة اليونان القدماء؛ فسقراط عارضَ كونَ الفنِّ غايةً لذاته، ورأىٰ أن له وظيفةً هي خدمة الحياة الأخلاقية.[5]

رابعاً– الفنُّ الحقيقيُّ والفنُّ المزَّيف:

---

[1] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص257–258.

[2] ينظر: عبّاس، (بشرىٰ)، 2018م. – فلسفة الفن والجمال عند فريدريك شيللر. ط.1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، عدد الصفحات 311، ص71.

[3] ينظر: اليافي، (عبد الكريم): بدائع الحكمة. ص283.

[4] ينظر: م.ن، ص275–276.

[5] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، فلسفة الجمال – أعلامها ومذاهبها. ص28.

إن إدماج قيم الفن في عملية التصنيف الاجتماعي –ولا سيّما في ظروف التفاوت الطبقي– يؤدي إلىٰ تشويه المعايير الفنية والجمالية؛ إذ تَفْسُد الأذواق وتضطرب، وتحلُّ محلَّها المكانةُ الاجتماعية في الحُكم علىٰ قيمة الفن؛[1] ولذا فقد ثار تولستوي علىٰ الفن الطبقي، ورفض المعايير التي تجعله فناً، وأخذ يميز بين الفن الأصيل الحقيقي وبين الفن الخُلَّبي الزائف. ورأىٰ أن الفن هيئة روحية لحياة البشرية يصعب نَسفُها؛ ولذا بقيتْ صامدةً بالرغم من كل الجهود التي بذلتها الطبقات الغنية لخصخصة الفن وتقييده. وأكد أن الفن يجب أن يكون في متناول الجميع، فلا ينقل أحاسيس الفئات الغنية فقط، بل الأحاسيس التي من شأنها أن توحِّد الناسَ من دون استثناء.[2]

لقد قسم تولستوي الفن إلىٰ صِنفينِ؛ إذ رأىٰ أن هناك فناً حقيقياً وفناً مزيَّفاً، وحدَّد سماتِ كلٍّ منهما وبيّن خصائصَه، وقدّم مقارناتٍ توضِّح الفروق الشاسعة بينهما؛ فقد رأىٰ أن الفن الحقيقي فنٌّ مفهوم للجميع، وأنه ((يجب أن يعمل في الناس بغض النظر عن مستوىٰ تعليمهم وحالة النموّ التي وصلوا إليها)).[3] لقد تسامت آراء تولستوي الجمالية حسْبَما يرىٰ الفيلسوف المَجَريُّ جورج لوكاتش George lukac (1885–1971م.)؛ فقد وجَّه تولستوي صراعه الفكري ضدَّ تجريد الحياة من إنسانيتها، ومن أهم معالم مذهبه الجمالي توجيهُ الفن إلىٰ الوضوح. بحيث يكون مفهوماً من أيّ إنسانٍ أيّاً كان مستواه،[4] إن الفن الحقيقي –حسبَ رأيِه– ينبغي أن يكون واضحاً في مُتناول الجميع، وإلا فهو تلفيق لا آصرةَ تربطه بالفن ولا عروة.[5] وقد انتقد تولستوي النظرية القائلة بأن الفن عملٌ لا يمكن أن يفهمه الناس العاديّون، وأكد أن الفن الحقيقي هو ما تبدعه الجماهير، وما يعبِّر عن أحاسيسها.[6] والفن لدىٰ تولستوي يكون حقيقياً وساميَاً عندما يكون مفهوماً للجميع،

---

[1] ينظر: المرعي، (فؤاد)، 2008م. – بحوث نظرية في الأدب والفن. ط.1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق عدد الصفحات 107، ص100.

[2] ينظر: تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص232.

[3] كريستيان، (ر. ف.)، تولستوي. ص351.

[4] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، فلسفة الجمال – أعلامها ومذاهبها. ص178.

[5] ينظر: الخفيف، (محمود)، تولستوي. ص265.

[6] ينظر: يونس، (محمد): تولستوي. ص108.

ولا يمكن أن يكون هدفُ الفن نقلَ أحاسيسِ الفنانِ إلىٰ الناس، ويكون غيرَ مفهومٍ في الوقت عينِه؛ إذ يقول: ((إن النتاج الفني يختلف عن كل النشاطات الروحية الأخرىٰ بأن لغته مفهومة بالنسبة إلىٰ الجميع، وأنه ينتقل إلىٰ الجميع [من] دون استثناء (...)، إن مواضيع الفن الساميَة هي سامية؛ فقط لأنها مفهومة للجميع وسهلة المَنال (...)، إن الفن يؤثِّر علىٰ {في} الناس بمَعزِل عن مستوىٰ تطوُّرهم وثقافتهم (...)، ويمكن للفن الجيد والرفيع في الواقع ألّا يكون مفهوماً، ولكن ليس بالنسبة إلىٰ العمال البسطاء الذين لم تتشوّه أذواقهم (...)؛ [إنما] بالنسبة إلىٰ العلماء ذَوِي الأذواق الفاسدة المشوَّهة (...)، ولا يُعقل أن يكون الفن غيرَ مفهومٍ بالنسبة إلىٰ جماهيرَ غفيرةٍ من الناس فقط لكونه فناً جيداً جداً (...) –كما يحب فنانو زمننا قولَه {أن يقولوا}–؛ إذ من الأصحِّ الافتراضُ أن أكثرية الناس لا تفهم الفن بسبب أن هٰذا الفن هو فنٌّ رديءٌ جداً، أو أنه ليس فناً من الأساس (...). يقولون: إن الشعب لا يَفهم النتاجاتِ الفنيةَ؛ لأنه ليس قادراً علىٰ فهمها، ولٰكن إذا كان هدفُ النتاجات الفنية هو نقلَ الأحاسيس التي عايشها الفنان إلىٰ الناس، فكيف يمكن الحديث عن عدم الفهم؟!)).[1]

وعلىٰ النقيض لذلك يقف الفن المزيَّف؛ ذاك الفن المعمَّىٰ الذي يَعْمَهُ في سَيْره، ويمشي علىٰ غير هدىً، يقول تولستوي عن هٰذا الطراز من الفن: ((ليس شيئاً واضحاً ومحدَّداً تحديداً دقيقاً، بل ويُفهَم ويُستوعب من قبَل محبِّيه بتناقض كبير)).[2]

وقد انتَقد تولستوي هٰذا النوع من الفن غيرِ المفهوم للشعب، وعدَّه نتاجاً هابطاً لا يرقىٰ إلىٰ مستوىٰ الفن.[3] إن الفن المزيف –كما يصفه تولستوي– فن رمزيّ غامض كاذب، إنه لا ينبعث عن شعور حقيقي في النفس؛ إنما هو وليد التقليد والرياء والتملُّق والتكسُّب، إنه فن خدّاع مطليٌّ بطلاءٍ تزيينيّ، وهو خاوٍ من الإحساس؛ يحاول صاحبُه أن يؤثِّر في النفوس ونفسه فارغة.[4] يقول تولستوي: إن هٰذا الفن أصبح فقيراً بمضمونه

---

[1] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص125–127___129.

[2] م.ن، ص17.

[3] ينظر: م.ن، ص87___93.

[4] ينظر: الخفيف، (محمود)، تولستوي. ص382.

معقَّداً ومزوّقاً وغامضاً، وكل ذلك جعله مستعصياً علىٰ الفُهُوم بعيداً كلَّ البعد من الناس.[1] ويجدُ تولستوي أن الغموض قد وَشّح الفنون علىٰ تعدّد أجناسها وأنواعها؛ فقد وجده سارياً في الرسم والمسرح والموسيقا والقصة والراوية، وهٰذا الغموض سببٌ في تداعي تلك الفنون وانحطاطها، ولا مبرِّر لتلك الضبابية التي تغلِّف العمل الفني وتجعله مستعصياً علىٰ الأَفهام، يقول تولستوي: ((زرت اليومَ ثلاثة معارضَ للرمزيين والانطباعيين الجُدد، لقد تفحّصت اللوحات بإمعان ونزاهة، ولٰكن لم أرَ ثانية سوىٰ الغموضِ ثم الحيرة في النهاية (...)، والأمر ذاته يحصل في المسرح (...)، والأمر ذاته يحصل في الموسيقا؛ في ذلك الفن الذي ينبغي أن يكون أكثر من غيره من الفنون مفهوماً بالنسبة إلىٰ الجميع وبدرجة واحدة (...)، والشيء ذاته يحدث في مجال الرواية والقصة؛ هٰذا المجال الذي يبدو من الصعب أن يكون غامضاً)).[2]

بالإضافة إلىٰ ما ذُكر ثمة خصائصُ أُخَرُ للفن الحقيقي والفن المزيف كان قد حدّدها تولستوي، إنها خصائصُ مشتقّةٌ ومُنْبَنية علىٰ الخصائص السابقة؛ فلما كان الواجب في الفن الحقيقي أن يكون مفهوماً للجميع، فهٰذا يعني أن له قاعدةً شعبية عريضة واتساعاً في الجمهور، وعندما كان الفن المزيف غامضاً لا تفهمه إلا ثُلّةٌ من الناس، فإن ذلك يدلّ علىٰ ضيق أفقه وانحصاره في طبقة معيَّنة، ومن ثَمَّ نخلص إلىٰ خصيصة أخرىٰ لكلٍّ من الفن الحقيقي والفن المزيف؛ إن الفن الحقيقي فن شعبي عالمي، أما الفن المزيف فهو طبقي فِئَوي. لقد دعا تولستوي إلىٰ ذلك الفن الحقيقي؛ الفنِّ العامِّ فنِّ الناس كافةً، فنِّ المجتمع والجماهير مخالفاً بذلك بعضَ معاصرِيه أمثال الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche (1844–1900م.) الذي دعا إلىٰ فن الصَّفْوة المجنَّد لِقِيَم الإنسان الأعلىٰ (السوبرمان).[3] لقد أدان تولستوي فن الطبقة الرأسمالية مؤكِّداً السمةَ

---

[1] ينظر: تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص102.

[2] السابق، ص117–119___121.

[3] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، فلسفة الجمال – أعلامها ومذاهبها. ص176.

الشعبية للفن، ورأىٰ أن الشعب قادر علىٰ تخليص الفن مما لحق به من قُبح وآفات نتيجةَ تطويعه لخدمة الطبقة الراقية.[1]

وقد جعل تولستوي شيوعَ الفن ورَوَاجه مِعياراً أساسياً لتمييز الغَثِّ من السَّمين في الفن؛ إذْ ((رأىٰ أن انتشار العمل الفني هو مقياسٌ لأصالته وجودته، أما اقتصاره علىٰ فئة ضيقة أو طبقة محدَّدة، فإنما هو دليل علىٰ زَيفه وعدم أصالته)).[2]

لقد جعل تولستوي مقدارَ عدوىٰ الفن وانتقالَه بين الناس الشرطَ الأساسيّ في تقييم الفن.[3] وجَعَلَ القول الفصل في تحديد كون النتاجِ فناً أو غيرَ فنٍّ لمَبدأ "العدوىٰ"؛ إذ يقول: ((إن سمة تمييز الفن الحقيقي من المزيف هي واحدة لا شك فيها، وهي عدوىٰ الفن وحدَها؛ إذا عانىٰ إنسان ما، [من] دون أي نشاط من جانبه (...)، إذا عانىٰ في أثناء قراءته أو سماعه أو مشاهدته لعمل إنسان آخر من الحالة {الحالَ} النفسية التي توحّده مع هٰذا الإنسان، ومع غيره ممن تلقَّوا مادة الفن مثلَه، فإن الموضوع الذي أثار هٰذه الحالة هو موضوع فنِّي. إن الموضوع مهما كان شاعرياً وشبيهاً بالفن الحقيقي، ومهما كان مؤثِّراً ومشوقاً لا يعدّ موضوعاً فنياً إلا إذا أثار في الإنسان تلك الأحاسيسَ التي (...) [توحِّده] مع المؤلف، ومع الآخرين (...) الذين تلقَّوا العمل الفني ذاته)).[4]

وقد أشار تولستوي إلىٰ طائفة من الخصائص الواجب توافرُها في الفن الحقيقي، كما حدّد آلياتِ إنتاج الفن المزيَّف وأساليبَ صُنْعه. أما الفن الحقيقي فينبغي أن يتَّسم بالتناغم بين الشكل والمضمون، فيكونان شيئاً واحداً متّسمَين بالوَحدة العضوية، ويعبِّران عن الأحاسيس التي يعانيها الفنان،[5] وكذلك علىٰ الفن أن يكون صادقاً جديداً؛ أي أصيلاً من إبداع صاحبه لا اجتراراً وإعادة تدوير لِمَا قيل سابقاً.[6] أما أسباب انتشار الفن

---

[1] ينظر: يونس، (محمد)، تولستوي. ص106–149.

[2] مطر، (أميرة حلمي)، فلسفة الجمال – أعلامها ومذاهبها. ص173.

[3] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، مدخل إلىٰ علم الجمال وفلسفة الفن. ص80.

[4] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص189.

[5] ينظر: م.ن، ص 137–162.

[6] ينظر: م.ن، ص147–148.

المزيف، وآليات إنتاجه، فقد قال تولستوي: ((يظهر الفن الشعبي فقط حينما يعاني إنسان ما من الشعب من إحساس قوي، ويشعر بضرورة نقل هذا الإحساس إلىٰ الآخرين. أما فن الطبقات الغنية فيظهر ليس لحاجة الفنان إلىٰ ذلك؛ إنما غالباً لأن الناس في الطبقات الغنية يطلبون التسلية التي يُكافؤون عليها بسخاء)).[1] وحصرَ تولستوي أساليب صنع هذا الصنف من الفن بالآتي: 1- **الاقتباس:** وهو أن يستلهم فنان ما أعمال مَن سَبَقوه كاملةً أو مُجتزَأةً، ويُعيد صياغتها، أو يستعمل أساليبها. 2**- التقليد:** يقصد تولستوي به استنساخ الواقع وتصويره تصويراً فوتوغرافياً دقيقاً وتقديمه كما هو من دون إضافة أيّ مغزىً عليه. 3**- الدهشة:** والمراد بها محاولة الفن أن يحدِث إثارة وانفعالاً حادّاً في المتلقي؛ بوساطة المُفارَقات والتباينات، وكذلك بالإغراءات الغريزية، أو بإثارة الخوف والرعب في النفوس. 4**- التشويق:** أي الحبكة وربط الأحداث بطريقة تدعو إلىٰ التلهُّف.[2]

كما حدّد تولستوي شروط الفنان الحقيقي وصفاتِه وما ينماز به من الفنان الزائف أو شبيه الفنان، وذلك بما يمتلكه من عقيدة وتمثُّلٍ للمحتوىٰ الأيديولوجي لعصره، ومن انفعال بالأحاسيس التي يقدّمها، ورغبة وقدرة علىٰ نقلها، وموهبة فذّة، يقول تولستوي: ((ولكي يستطيع الإنسان إنتاج المواد الفنية الحقيقية، لا بد من توفُّر شروط كثيرة؛ لا بد له من أن يكون علىٰ مستوىً رفيعٍ من العقيدة بالنسبة إلىٰ عصره، ولا بد من معايشة الأحاسيس والرغبة والقدرة علىٰ نقل هذه الأحاسيس، علىٰ أن يكون -إضافةً إلىٰ ذلك- ذا موهبةٍ كبيرة في نوع ما من أنواع الفنون)).[3] أما شَبيه الفنان ذاك الذي ينتج فناً زائفاً، فيُكتفىٰ بأن يكون قادراً علىٰ إنتاج نوع ما من الفنون من دون أن يتشرّب عقيدة زمانه، أو أن يعايش الأحاسيس، أو يمتلك الرغبة، يقول تولستوي: أما من أجل إنتاج المواد الفنية بمساعدة أساليب (الاقتباس، والتقليد، والإدهاش، والتشويق) سالفةِ الذكر؛ أي (المواد أشباه

---

[1] م.ن، ص131.

[2] ينظر: السابق: ص132___136.

[3] م.ن، ص142.

الفنية) التي تَنال مكافأةً كبيرة في مجتمعنا، فلا يلزم لذلك سوىٰ أن يمتلك المُنتِج المقدرة في فن من الفنون.[1]

ولم يَفُت تولستوي أن ينبّه إلىٰ مخاطر الفن الزائف وعواقبه المدمِّرة؛ إن الفن الزائف –حسب تولستوي– يجفِّف منابع الإلهام، ويجعل النتاجات الفنية نسخاً متشابهةً تكرِّر نفسها.[2] وقد شدَّد تولستوي –كما ذكرنا– علىٰ صفة الصدق في الفن؛ لأن الكذب فيه يحطِّم الرابطة بين الظواهر، ويطمس معالمها،[3] يقول تولستوي: ((يبدو الكذب في الحياة شنيعاً، لكنه لا يدمِّرها (...)، لكن الكذب في الفن يدمِّر الصِّلة المترابطة بين الظواهر، وينثر كلّ شيءٍ مثلَ البودرة)).[4] إن زيف الفن يشوّه الحقائق ويدلِّسها، ولا يألُو جهداً في خَبَال الشعور وتدمير الإحساس وإماتته؛ ((فالفن الزائف [–كما يرىٰ تولستوي–] ضررٌ بالغ؛ لأنه يُفسد الذوق، ويلبس الحق بالباطل أو الصحيح بالزائف، وبذلك يُضلّ الشعور فيتبلَّد ويُميت القلب فلا ينبض))،[5] ويقول تولستوي –أيضاً–: إن انحراف وسيلة الفن عن مسارها الصحيح ترك عواقبَ وخيمةً منها: غياب نشاط الفن الذي يجب أن يقوم به في المجتمع، وتشوُّه القدرة علىٰ التأثُّر بنتاجات الفن الحقيقية، وعدم القدرة علىٰ الشعور بالأحاسيس السامية التي بلَغَتها البشرية، والتي لا يستطيع نقلَها إلا الفنُّ. ليس للفن الزائف سوىٰ هدفٍ واحد؛ إنه نشرُ الفجور أكثرَ ما يمكن.[6]

ولا يغفل تولستوي في نهاية المطاف عن الإرشاد إلىٰ طريقة التعامل مع الفن الزائف المدمِّر وكيفية مواجهته، ويرىٰ أن إلغاءَ هٰذا الفنِّ نهائياً أفْضَلُ كثيراً من استمرار السَّيْرِ في هٰذا المسار المُعْوَجّ، يقول: ((لا بد من توجيه جهود جميع الناس الذين يرغبون في حياة لائقة من أجل سحق هٰذا الفن؛ لأنه من أكثر الشرور قساوةً وكَرْباً علىٰ البشرية؛ لذا فإنه لو طُرِح سؤالٌ حول ما هو الأفضل {ما الأفضلُ؟} بالنسبة إلىٰ عالمنا: الحرمان

---

[1] ينظر: م.ن، ص نفسها.

[2] ينظر: اليافي، (عبد الكريم)، بدائع الحكمة. ص298.

[3] ينظر: شرارة، (حياة)، تولستوي فناناً. ص80–81.

[4] لومونوف، (ك.)، صفحات مجهولة من حياة تولستوي. ص187.

[5] الخفيف، (محمود)، تولستوي. ص383.

[6] ينظر: تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص217–228.

من كلِّ ما يُعد الآن فناً بعدم إصداره، أم الاستمرار في تشجيع ذلك الفن الموجود الآن والسماح بإصداره؟ فأعتقد أن كل إنسان عاقل وأخلاقي سيحل المسألة مثلَما حلَّها أفلاطون من أجل (جمهوريته)،[1*] وكذلك مثلما حلَّها مُعلِّمو البشرية الأوائل من المسلمين والمسيحيين، وسيجيب: "من الأفضل ألا يُوجَد أيُّ فنّ من أن يستمر ذلك الفن الفاجر أو الزائف الموجود حالياً (...). [علينا] أن ندرك ذلك الضلال الذي نَتِيه فيه، وألّا نواظبَ عليه، بل أن نبحث عن مَخرجٍ منه)).[2]

خامساً – العِلْمُ والفَنُّ علاقة التقاءٍ وارتقاء:

جاء في معاجم الاصطلاح الفلسفي أن العلم هو الإدراك مُطلَقاً، وقد يُطلق علىٰ التعقّل، أو علىٰ حصول صورة الشيءِ في الذهن، أو علىٰ الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، أو علىٰ إدراك حقائق الأشياء وعِلَلها، أو علىٰ إدراك المسائل عن دليل، أو علىٰ الملَكة الحاصلة من إدراك تلك المسائل.[3] وجاء في تلك المعاجم أن العلم مقابلٌ للفن؛ إذ الأول نظري والثاني عملي، مجال العلم الحقيقة، بينما مجال الآخر الشعور، وأحكام العلم خبرية وُجودية، أما أحكام الفن فإنشائية إبداعية.[4] إن العلم يقدّم لنا الحقيقية عن الموضوعات التي يدرُسها، ويفسِّر تلك الحقائق، ويبيّن ارتباط الموضوعات بعضها ببعض، أما الفن فيجعلنا نركِّز في الموضوع ذاتِه أكثرَ من النظر في علاقاته؛ ومن ثَمَّ فالارتباط أساس النظرة العلمية، بينما الانعزال أساسُ التذوّق الفني.[5]

وقد تحدث تولستوي عن الفن في ضوء علاقته بالعلم، وبيّن مَهمّة كلٍّ منهما، ووجوبَ تآزرهما لتحقيق غاية واحدة، يقول: ((الفن ليس تلذُّذاً، أو تعزِية، أو تسلية، الفن شيء عظيم، الفن هو وسيلة لحياة البشرية، تُحوِّل معارفَ الناس المنطقيةَ إلىٰ أحاسيسَ.

[1*] (الجمهورية): مؤلَّف سياسي لأفلاطون، يشرح فيه نُظُم الدولة المثالية.

[2] تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص228–229.

[3] ينظر: صليبا، (جميل)، المعجم الفلسفي. ج.2، ص99.

[4] ينظر: م.ن: ص165.

[5] ينظر: مطر، (أميرة حلمي)، مدخل إلىٰ علم الجمال وفلسفة الفن. ص34–35.

وفي وقتنا هذا فإن وعي الناس الديني العام هو وعي أُخوَّة الناس ومصلحتهم في الوَحدة المتبادلة. علىٰ العلم الحقيقي أن يشير إلىٰ النماذج المختلفة لتحقيق هذا الوعي في الحياة، وعلىٰ الفن أن يترجم هذا الوعيَ إلىٰ أحاسيس)).[1] إن مُقتضىٰ فلسفة تولستوي الفنية أن كل فن وعلم وصناعة يجب أن تكون غايته نبيلة؛ عليه ترقية الشأن البشري، والعملُ علىٰ رخاء الناس، وبثُّ السلام في العالم أجمع. أما إن خرجت تلك العُلوم عن دائرة هذا الغرض، وراحت تصنع آلات التدمير والخلاعة واللهو، فإنها ستنشُر الفساد، وتجلب الضَّرر والعناء للجنس البشري، وتصبح عبثاً لا يَحكم مسارَها مبدأٌ ولا معيار.[2]

لقد أوضح تولستوي تلك العلاقة التبادلية التي تربط العلم والفن؛ إذ لا يستطيع أحدهما أن يستغنيَ عن الآخر في تحقيق غرضه، كما بيّن وجوبَ توجيههما لصلاح البشرية، إن العلاقة بين العلوم والفنون –وفقاً لتولستوي– تُضارِع العلاقة بين الرئتين والقلب؛ إن فسد أحدهما لا يتسنىٰ للآخر القيام بمَهمّته؛ ومن ثَمَّ فإن اختارَ العلم مساراً خاطئاً، فسيكون مسار الفن كذلك، فعلىٰ كليهما أن يتخلّىٰ عن مساره الخاطئ، وأن يسخّر نفسه للاعتبارات الأخلاقية، وتكريسِ القيم الاجتماعية اللائقة، وتحقيق التقدم السلمي، واحترام الحرية وحقوق الإنسان في أنحاء العالم كافةً.[3] إن تحييْد الفن عنِ الطريق الكاذب مرتبطٌ بابتعاد العلم عن تلك الطريق؛ فالعلاقة بينهما سببية، يقول تولستوي: ((سيحيد الفن (...) عن الطريق الكاذب (...)، ولكن من أجل تحقيق ذلك، ومن أجل أن يتخذ الفن اتجاهاً جديداً لا بد أن يبتعد العلم –ذلك النشاط الروحي الإنساني الهامّ {المهم} جداً، والذي كان للفن معه أوثقُ الصِّلة– لا بد له أن يبتعد مثلَ الفن تماماً عن ذلك الطريق الكاذب الذي يقف عليه)).[4]

لقد رفض تولستوي نظريتَي "العلم للعلم" و"الفن للفن"، وأكّد –كما ذكرنا– أن الفن يساير العلم ويتساوق معه، فإن اعوجّ طريق العلم وفسد، حصل الأمر عينُه للفن؛ وأوضح

---

(1) تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص256–257.

(2) ينظر: قبعين، (سليم)، د.ت – مذهب تولستوي. د.ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، عدد الصفحات 93، ص34.

)3(See: Ferrara, (Enzo), 2014 AD. - Lev Tolstoy and Modern Science. Italy, p.41.

(4) تولستوي، (ليف)، ما هو الفن؟. ص244–245.

أن العلم انحرف عن مساره الحقيقي واضطرب كما حادَ الفن وازْوَرّ؛ لذا وجبَ أن يكوْن التقويمُ والإصلاح ثنائياً لكليهما، يقول تولستوي: ((قاموا بابتكار نظرية "العلم للعلم" المشابهة تماماً لنظرية "الفن للفن"؛ ومثلما نصّت نظرية "الفن للفن" بأن الانشغال بكل الموادّ التي تعجبنا هو الفن، هكذا حسب نظرية "العلم للعلم"؛ فإن دراسة المواضيع التي تهمنا هي العلم بذاته. هذا وإن قسماً من العلوم راح –بدلاً من دراسته كيفيةَ حياة الناس راح بهدف تحقيق رسالته– يبرهن علىٰ شرعية نظام الحياة الباطل والكاذب ورسوخه، والقسم الثاني؛ أي العلم التجريبي، أخذ يمارس مسائل حب الاستطلاع البسيطة أو التحسينات التِّقْنية (...). يبدو لنا (...) أن العلم يكون علماً فقط عندما يَسكب الإنسان في المختبرات السائلَ من قارورة إلىٰ أخرىٰ (...)! علىٰ أن العلم الحقيقي (...) يكمن (...) في معرفة بمَ ينبغي أن نثِق وبمَ ينبغي ألّا نثِق؟ (...). نرىٰ اليوم بجلاء عجيب كيف تخلّىٰ علم زمننا عن رسالته الحقيقية، وتبنّىٰ تلك المُثُل التي وضعها بعض العلماء لأنفسهم، والتي لا تُنفَىٰ، ويعترف بها من قِبل أكثرية العلماء (...). لا شيءَ كهذه المُثل يبيّن انحراف علم زمننا عن طريقه الحقيقي (...). وفي غُضون ذلك فإن الأحاسيس التي ينقلها الفن تلِدُ علىٰ أساس العلوم الحالية، ولكنْ أيةُ أحاسيسَ يمكن أن يثيرها العلم الذي يقف علىٰ الطريق الباطلة؟! (...). فلا بد لفن زمننا؛ من أجل أن يصبح فناً، أن يشقّ إلىٰ جانب العلم طريقاً لنفسه)).[1]

إن إصلاح العلم والفن اللذين حادَا عن الطريق الصائب يكون –حسبَ تولستوي– بإخضاعهما للعقيدة الدينية والقواعد الأخلاقية التي يُفترَض أن تحكُم السلوك الإنساني وتوجّهه، يقول تولستوي: ((سوف نشير للناس إلىٰ عدم صحة نظرية "العلم للعلم"، وستَظهر بجلاء ضرورة الاعتراف بالعقيدة المسيحية بمعناها الصادق، وأنه علىٰ أساس هذه العقيدة ستتم إعادة تقويم كل المعارف التي نملكها ونعتز بها، وسنبيّن ثانويةَ المعارف التجريبية وتفاهتها، وأولوية المعارف الدينية والأخلاقية والاجتماعية وأهميتها)).[2] وبذلك تتضّح النزعة الأخلاقية التولستُوِيَّة التي حاول أن يجعلها معياراً

[1] السابق، ص247___255.

[2] م.ن، ص225–226.

لتحديد مسارات العلم والفن، وإرشادهما، والحكم علىٰ قيمتهما، إن تولستوي يعامل العلم بنفس القسوة التي يعامل بها الفن إذا لم يخضع للمبدأ الأخلاقي.[1] وربما يكون لآراء تولستوي هٰذه أهميةٌ في عصرنا هٰذا عصرِ الحداثة الذي استشرتْ فيه خطورة الفكر البراغماتي النفعي المفرِط، وشاعت فيه النزعة الفردانية، فنأىٰ كل فرد بجانبه عن الانخراط في السرب البشري، وتقلَّصت الروح الإنسانية الأخَوية، وحُيِّد العلمُ والفن عن هدفهما الإنساني الحقيقي. فلا بد من إعادة النظر فيهما، وضبطهما وتهذيبهما؛ حتىٰ يحققا ما وُجِدَا لأجله.

الخاتمة:

- **المستخلص:**

إن الفن والجمال حقلانِ هما من الأهمية بمكان في الحياة الإنسانية؛ فبالفن يرتقي الإحساس ويسمو الذوق، ويجد الإنسان متنفَّساً من ضغوط الحياة العقلية، وبه يحقّق الإنسان ذاته، ويفرّغ مكبوتاته، ويصل إلىٰ التطهير النفسي. أما الجمال فهو ما يُشعرنا بالسعادة، وهي –لا مِرْيةَ في ذلك– المَطلب البشري الأسمىٰ؛ لذا لا بد من التعامل مع هذين الحقلين بجِدية بالغة ودقّة متناهية. وقد عالج تولستوي قضية "الفن والجمال" بمهارة منهجية قِوامها الحُجة العقلية ونُسُغُها الدليل والبرهان؛ وقد عرض تلك القضية في سياقها التاريخي، وأظهر تسلسلها والإشكالات القائمة حولها، عرض وانتقد، وافق وخالف، واحتج وأيّد كلَّ ما ذهب إليه بدقّة مبهرة آخذاً بيد القارئ إلىٰ خلاصات فكرية نظن أننا في مَسيس الحاجة إلىٰ استعمالها وتفعيلها في وقتنا الراهن؛ إذ أصبح الفنّ مُلكاً مشاعاً لا حارسَ عليه ولا رقيب، يرتاده القاصي والداني، من يصلح ومن لا يصلح له، من دون معاييرَ دقيقة وموجَّهة تحكم ذاك الحقل، فأفرز ذلك نتاجاتٍ لا ترقىٰ أن تسمّىٰ فناً، وبات قِوام الفن هلاميّاً لا يمكن الاستناد إليه في تكوين قيمة أو تقويم سلوك. إنه –كما يقال–: قد "حَلَّتْ بِهِ ثالِثَةُ الأَثَافِي".

[1] Смотрю: В, (Зеньковский В.), 2013 - О Жизни И Духовных Исканиях Толстого. Историко – Педагогический Журнал, Номер 3, С.36.

- **النتائج والتعميمات:**

1- الفن والجمال والحقيقة والخير أشياءُ منفصلةٌ لا يجوز الخلط بينها؛ فالفن نشاط إنساني هدفه نقل المشاعر وتحقيق التواصل بين الناس، ولا يتم تحديده علىٰ أساس اللَّذة الجمالية؛ إذ قد ينقل أشياءَ غيرَ سارّةٍ. وما من علاقة أيضاً بين كلٍّ من الجمال والحقيقة والخير؛ فالجمال خاصّ بالشعور، والحقيقة خاصة بالعقل، والخير خاص بالأخلاق.

2- إن مُحدِّد كون الفن فناً لدىٰ تولستوي هو أن يكون قناةَ اتصال بين الجماهير الشعبية، ومعيارُ تقييمه هو مدىٰ انتشاره وقدرته علىٰ تحقيق العدوىٰ الشعورية.

3- الفن عند تولستوي يقف علىٰ دعائمَ دينية، ولا بدَّ له من مسايرة الوعي الديني والاسترشاد بهداه؛ حتىٰ يحقق الهدف الأسمىٰ من الوجود الإنساني؛ وهو المحبة والتآخي ووَحدة الجنس البشري.

4- إن الفن الحقيقي –حسب تولستوي– فنٌ مفهوم واضح شعبي عالمي، أما الفن المزيّف فهو رمزي غامض ملغوز طبقي متقوقع.

5- ثمة أواصرُ متينةٌ تربط العلم والفن، ووظائفُ متكاملة يحقّقها كلٌّ منهما، وعلاقة تأثر وتأثير بينهما؛ فكلٌّ منهما يأخذ بيد الآخر، وهما ساقان يتوقّف عليهما تطور الحياة البشرية ونموُّها، وأي خللٍ في إحداهما سيعيق ذلك النموَ والتطوُّر.

- **التوصيات والمقترحات:**

1- يوصي هٰذا البحث بإجراء دراسات مقارنة أكثرَ اتساعاً في قضية "الفن والجمال" بين تولستوي وفلاسفة آخرين، لرصد مواطن التشابه والاختلاف بينه وبينهم.

2- كما نوصي بالأخذ بآراء تولستوي حول الفن ووظائفه، وتفعيلها عملياً، بحيث تتم صياغة مجموعة من المعايير –بناءً علىٰ رؤىٰ تولستوي– للحكم علىٰ الأعمال الفنية وتقييمها، سواءٌ أكان ذلك في نقابات الفنانين، أم في لِجَان تقييم الأعمال الفنية، أم في غير ذلك من الهيئات المعنية بالشأن الفني.

3- نقترح إيلاء المجال الجمالي (الشعوري) عنايةً أكبرَ في أثناء تصميم المناهج التعليمية في وِزارة التربية، وكذلك في صياغة الأهداف والغايات التعليمية؛ لتنمية الجانب الانفعالي الوجداني لدىٰ المتعلمين؛ نظراً لأهمية هٰذا الجانب في تفاعل الناشئة مع المادة العلمية، ودوره الكبير في تكوين المُيول والاتجاهات والقيم وترتيبها في نظام قِيَمِيّ.

ببليوغرافيا المصادر والمراجع:

I- المصادر العربية والمترجمة:

أولاً- المعجمات:

1- صليبا، (جميل)، 1982م. - المعجم الفلسفي. ج.1، د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، عدد الصفحات 765.

2- صليبا، (جميل)، 1982م. - المعجم الفلسفي. ج.2، د.ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان، عدد الصفحات 590.

3- مجموعة من المؤلفين، 1993م. - المعجم الوسيط. ط.3، مجمع اللغة العربية، مصر، عدد الصفحات 1111.

ثانياً- أعمال تولستوي:

4- تولستوي، (ليف)، 1999م. - ما هو الفن؟. تر. محمد عبدو النجاري، ط.1، دار الحصاد، دمشق، عدد الصفحات 259.

II- المراجع العربية والمترجمة:

5- باختين، (ميخائيل)، 1987م. - الخطاب الروائي: تر. محمد برادة، ط.1، دار الفكر، القاهرة، عدد الصفحات 190.

6- بدوي، (عبد الرحمن)، 1996م. - فلسفة الجمال والفن عند هيغل. ط.1، دار الشروق، بيروت، عدد الصفحات 395.

7- بيتروف، (س.)، 2012م. - الواقعية النقدية في الأدب. تر. شوكت يوسف، ط.1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، عدد الصفحات 288.

8- جراهام، (جوردون)، 2013م. - فلسفة الفن – مدخل إلىٰ علم الجمال. تر. محمد يونس، ط.1، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، عدد الصفحات 358.

9- الخطيب، (حسام)، 2006م. - جوانب من الأدب والنقد في الغرب. د.ط، جامعة دمشق، عدد الصفحات 471.

10- الخفيف، (محمود)، 2002م. - تولستوي – قمة من القمم الشوامخ في أدب هٰذه الدنيا قديمِه وحديثه. ط.2، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، عدد الصفحات 431.

11- شرارة، (حياة)، 2011م. - تولستوي فناناً. ط.2، دار المدىٰ، بغداد، عدد الصفحات 173.

12- شيخ الأرض (تيسير)، 1991م.- الفحص عن أساس الفنون. د.ط، اتِّحاد الكتاب العرب، دمشق، عدد الصفحات 381.

13- ضيف، (شوقي)، د.ت، تاريخ المقدمة 1972م. - البحث الأدبي – طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره. ط.7، دار المعارف، القاهرة، عدد الصفحات 278.

14- عبّاس، (بشرىٰ)، 2018م. - فلسفة الفن والجمال عند فريدريك شيللر. ط.1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، عدد الصفحات 311.

15- عبد اللطيف، (محمود)، 2012م. - الفكر التربوي عند الكندي. د.ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة التراث، عدد الصفحات 306.

16- قبعين، (سليم)، د.ت - مذهب تولستوي. د.ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، عدد الصفحات 93.

17- كروتشه، (ب.)، 2009م. - فلسفة الفن. تر. سامي الدروبي، ط.1، المركز الثقافي العربي، بيروت والدار البيضاء، عدد الصفحات 167.

18- كريستيان، (ر. ف.)، 1983م. - تولستوي – مقدمة نقدية. تر. عبد الحميد الحسن، د.ط، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، عدد الصفحات 391.

19- كولنجوود، (روبين جورج)، 2001م. - مبادئ الفن. تر. أحمد محمود، مر. علي أدهم، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الصفحات 267.

20- لومونوف، (ك.)، 2000م. - صفحات مجهولة من حياة تولستوي. تر. ماجد علاء الدين ومحمد بدر خان، د.ط، الناشر: ماجد علاء الدين، د.م، عدد الصفحات 235.

21- مجموعة من المؤلفين، 2005م. - صفحة جديدة - اللقاء الأدبي للشباب العربي – الدورة الأولىٰ. ط.1، دار شرقيات، القاهرة، عدد الصفحات 209.

22- المرعي، (فؤاد)، 2008م. - بحوث نظرية في الأدب والفن. ط.1، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق عدد الصفحات 107.

23- مطر، (أميرة حلمي)، 1998م. - فلسفة الجمال – أعلامها ومذاهبها. ط.1، دار قُبَاء، القاهرة، عدد الصفحات 245.

24- مطر، (أميرة حلمي)، 2013م. - مدخل إلىٰ علم الجمال وفلسفة الفن. ط.1، دار التنوير، مصر، عدد الصفحات 191.

25- الموسىٰ، (خليل)، 2008م. - جماليات الشعرية. د.ط، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سلسلة الدراسات (4)، عدد الصفحات 386.

26- هيغل، (فريدريك)، 2010م. - علم الجمال وفلسفة الفن. تر. مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط.1، مكتبة دار الحكمة، القاهرة – مصر، عدد الصفحات 272.

27- اليافي، (عبد الكريم)، 1999م. - بدائع الحكمة – فصول في علم الجمال وفلسفة الفن. ط.1، دار طلاس، دمشق، عدد الصفحات 494.

28- يونس، (محمد)، 1980م. - تولستوي. ط.1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سلسلة أعلام الفكر العالمي، عدد الصفحات 168.

III- المراجع الإنجليزية:

29- Ferrara, (Enzo), 2014 AD. - Lev Tolstoy and Modern Science. Italy.

IV- المراجع الروسية:

30-В, (Зеньковский В.), 2013 - О Жизни И Духовных Исканиях Толстого. Историко – Педагогический Журнал, Номер 3.

31-Одесская, (Маргарита Мо Исеевна), 2015 - Два Сна: Творец И Судья Размышления Л. Н. Толстого Об Искусстве. Памяати Льва Толстого, Казанского Университета.

Bibliography of sources and references:

I- Arabic and translated sources:

First - Dictionaries:

1- Saliba, (Jamil), 1982 AD. - Philosophical Dictionary. Vol.1, Without Press, Lebanese Book House, Beirut - Lebanon, number of pages 765.

2- Saliba, (Jamil), 1982 AD. - Philosophical Dictionary. Vol.2, Without Press, Lebanese Book House, Beirut - Lebanon, number of pages 590.

3- A group of authors, 1993 AD. Alwasit Dictionary. Edition 3, Academy of the Arabic Language, Egypt, number of pages 1111.

Second - Tolstoy's works:

4- Tolstoy, (Liv), 1999 AD. - What Is Art? Tr. Muhammad Abdo Al-Najjari, Press 1, Dar Al-Hasad, Damascus, number of pages 259.

II- Arabic and translated references:

5- Bakhtin, (Mikhail), 1987 AD. - narrative discourse. Tr. Muhammad Barada, Press 1, Dar Al-Fikr, Cairo, number of pages 190.

6- Badawi, (Abdul Rahman), 1996 AD. Hegel's philosophy of beauty and art. Press 1, Dar Al-Shorouk, Beirut, number of pages 395.
7- Petrov, (S.), 2012 AD. Critical realism in literature. Tr. Shawkat Youssef, Press 1, Ministry of Culture, Syrian General Book Organization, Damascus, number of pages 288.
8- Graham, (Gordon), 2013 AD. - Philosophy of Art- Introduction to Aesthetics. Tr. Muhammad Yunus, Press 1, The General Authority for Cultural Palaces, Cairo, 358 pages.
9- Al-Khatib, (Hossam), 2006 AD. Aspects of literature and criticism in the West. Without Press, University of Damascus, number of pages 471.
10- Al-Khafif, (Mahmoud), 2002 AD. Tolstoy - One of the lofty peaks in the literature of this world, old and new. Press 2, The General Authority for Cultural Palaces, Egypt, number of pages 431.
11- Sharara, (Haiat), 2011 AD. Tolstoy is an artist. Press 2, Dar Al-Mada, Baghdad, number of pages 173.
12- Sheikh Al-Ardh (Taiser), 1991 AD.- Examination of the basis of the arts. Without Press, Union of Arab Writers, Damascus, number of pages 381.
13- Dhaif, (Shawky), N.D, date of introduction 1972 AD. - Literary research - its nature, methods, origins, sources. Press 7, Dar Al-Ma'aref, Cairo, Without Press, number of pages 278.
14- Abbas, (Bushra), 2018 AD. Friedrich Schiller's Philosophy of Art and Beauty. Press 1, Ministry of Culture, Syrian General Book Organization, Damascus, number of pages 311.
15- Abdul Latif, (Mahmoud), 2012 AD. Al-Kindi's educational thought. Without Press, Union of Arab Writers, Damascus, Heritage Series, number of pages 306.
16- Qabain, (Slim), Without Date - Tolstoy's Doctrine. Hindawi Foundation, Cairo, number of pages 93.
17- Croce, (b.), 2009 AD. Art philosophy. Tr. Sami Al-Droubi, Press 1, The Arab Cultural Center, Beirut and Casablanca, number of pages 167.

18- Christian, (R. F.), 1983 AD. Tolstoy - A critical introduction. Tr. Abdul Hamid Al-Hassan, Without Press, Ministry of Culture and National Guidance, Damascus, number of pages 391.
19- Collingwood, (Robin George), 2001 AD. Art principles. Tr. Ahmed Mahmoud, ed. Ali Adham, Without Press, Egyptian General Book Organization, pages 267.
20- Lomonov, (k.), 2000 AD. Unknown pages from Tolstoy's life. Tr. Majed Alaa Al-Din and Muhammad Badr Khan, Without Press, Publisher: Majid Alaa Al-Din, Without Place, number of pages 235.
21- A group of authors, 2005 AD. - New page - Literary meeting of Arab youth - first session. Press 1, Dar Sharqiyat, Cairo, number of pages 209.
22- Al-Marei, (Fouad), 2008 AD. Theoretical research in literature and art. Press 1, Ministry of Culture, Syrian General Book Organization, Damascus, number of pages 107.
23- Matar, (Ameera Helmy), 1998 AD. - Philosophy of beauty - its flags and doctrines. Press 1, Dar Quba', Cairo, pages 245.
24- Matar, (Amira Helmy), 2013 AD. An introduction to aesthetics and the philosophy of art. Press 1, Dar Al-Tanweer, Egypt, number of pages 191.
25- Al-Mousa, (Khalil), 2008 AD. Poetic aesthetics. Without Press, Union of Arab Writers, Damascus, Studies Series (4), number of pages 386.
26- Hegel, (Friedrich), 2010 AD. Aesthetics and the philosophy of art. Tr. Mujahid Abdel Moneim Mujahid, Press 1, Dar Al-Hikma Library, Cairo - Egypt, number of pages 272.
27- Al-Yafi, (Abdul Karim), 1999 AD. Badaa' al-Hikma - Classes in Aesthetics and Philosophy of Art. Press 1, Dar Tlass, Damascus, number of pages 494.
28- Yunus, (Muhammad), 1980 AD. - Tolstoy. Press 1, The Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, Flags of International Thought Series, number of pages 168.

III- English references:

29- Ferrara, (Enzo), 2014 AD. - Lev Tolstoy and Modern Science. Italy.

IV- Russian references:

30-V, (Zenkovsky V.), 2013 - About the Life and Spiritual Searches of Tolstoy. Historical - Pedagogical Journal, No. 3.

31- Odesskaya, (Margarita Mo Iseevna), 2015 - Two Dreams: The Creator and the Judge Lev Tolstoy's Reflections about Art. In memory of Lev Tolstoy, Kazan University.